إس دراس

بشارات عزرا بالنبي العربي



ترجمة وتعليق

أميريكن

منشورات
فادي برس. لندن

أس ـ دراس

بشارات عزرا بالنبي العربي

ترجمة وتعليق
أمير يكن

فادي برس ـ لندن

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

الإهـــداء

إلى أولئك الأتقياء الأنقياء المجاهدين

الذين فهموا أن العودة إلى الله وإلى كتابه وسنّة نبيه ﷺ

تسـبق العودة إلى الأرض المقدسـة.

إلى أولئك الذين شـرّفهم الله تعالى بقوله:

﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾

إلى الذين لم يفقدوا الأمل باسـتعادة ما سـلبه الصهاينة

من مقدسات المسلمين في الأرض التي باركها الله

وبـارك ما حولها وبشّـر المؤمنين

بنصـر من الله وفتح قريب

أمير

المقـدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقالت اليهود عزيرٌ ابن اللّه.

بسبب المكانة العالية الرفيعة والاحترام الشديد اللذيـن كـان عـزرا يتمتـع بهمـا عند قومه وبسبب نزاهته وإخلاصه الكبير لقضية شعبه، أولاه اليهود ثقتهم المطلقة وقدسوا كتبه التي أملاها عليهم.

وقد استغل كثير من اليهود ثقة الشعب بكتابـات عـزرا فنسـبوا إليـه كثـيراً مـن كتاباتهم بقصد ترويج أفكارهم بين اليهود وغيرهم.

وهذا الكتاب هو أحد الكتب المنسوبة إلى عزرا. والنسخة الأصلية وترجمتهـا اليونانية مفقودتان. ولايوجد الآن في المتاحف والكنائس سوى الترجمـة اللاتينيـة المأخوذة عن نسخة يونانية.

يتضمن الكتاب سبع رؤى لعزرا يفسرها ويشرح مغزاها بنفسه. كمـا يجـاوب على لسان الملاك أوريل عن عديد من الأسئلة التـي تخطـر علـى بـال كـل إنسـان وهي تتعلق بالقدر. وفي نهايـة الكتـاب ملحـق يتضمـن نبـوءات لكـاتب مجهـول يختلف أسلوبه عن الأسلوب الذي كتبت به الرؤى. تكتسب هذه النبوءات أهميـة جزئية لأنها تتحدث عن طوفان عربي مسلح يكتسح العالم ويهزه بعنف.

وهناك تمنيات يهودية تتنبأ بمصير أسود يحيق بشعوب ودول المنطقة ـ سورية ـ مصر ـ العراق وذلك بسبب اضطهادهم للجاليات اليهودية التي تعيش بينهم.

تتمحور رؤى عـزرا حـول فكـرة أساسـية وهـي أن هنـاك خلاصيـن للمؤمنيـن يقابلهما هلاك وعذابٌ للكافرين.

يكون الخلاص الأول بعد الموت حيث يدخـل المؤمنـون جنـة النعيـم الأبـدي ويخلدون في الفردوس الأعلى.

أما الخلاص الثاني فيتم على يد عبد اللّه ورسوله الـذي يبيـد أعـداءه ويحرقهـم بنار الشريعة. ويحكم العالم بالعدل والرحمة مدة أربعمائة سنة.

ربما تكون هذه النبوءات والرؤى أحد الأسباب التي مهـدت لانتشـار الإسـلام بشكل واسع في مدة قصيرة.

الفصل الأول

تشتت بني إسرائيل

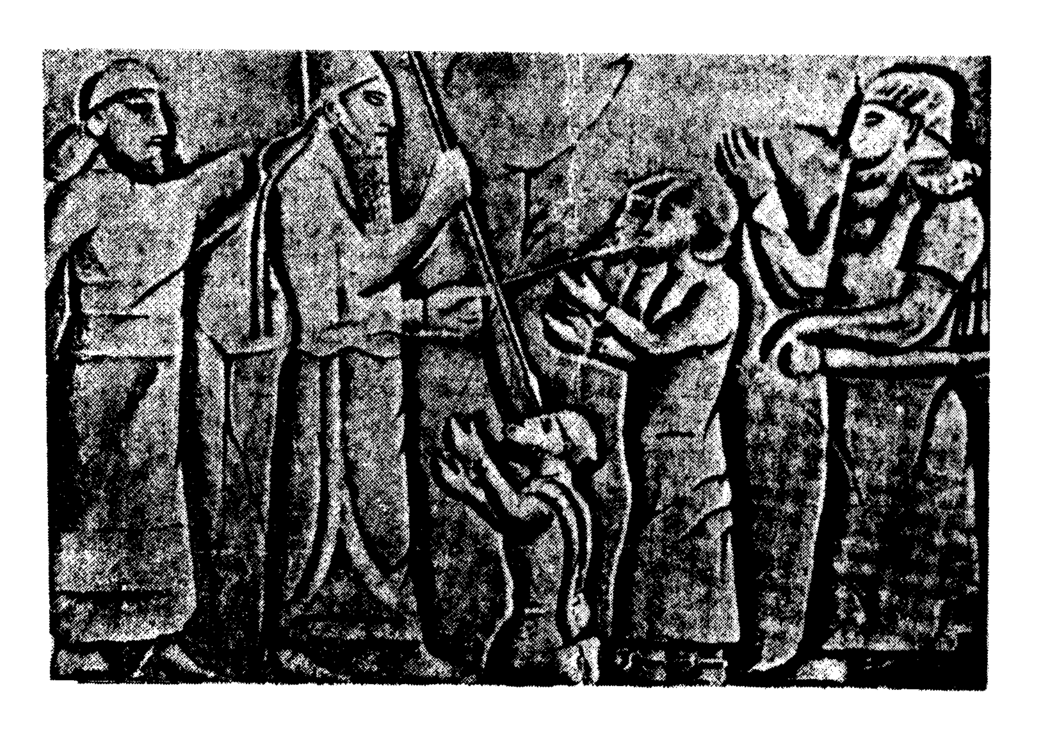
١ ـ ١. الغزو الآشوري وإزالة إسرائيل من الوجود:

لقد كان لقيام الإمبراطورية الآشورية، التي دامت بين سنة ٩١١ و٦٢٦ قبل الميلاد، أثرها في تغيير وجه الشرق، فقد حكم خلال تلك الفترة خمسة عشر ملكاً، بلغت الإمبراطورية في عهد بعضهم أوج عظمتها واتساعها بحيث ضمت جميع أراضي الهلال الخصيب ومن ضمنها مصر. وقد لعبت دوراً رئيساً في القضاء على مملكة إسرائيل نهائياً وسبي سكانها اليهود إلى أماكن بعيدة. وحلّ سكان من غير اليهود محلهم، من مختلف أنحاء الإمبراطورية. ثم تحطيم مملكة يهوذا. فقد تمكن شيلمنصر الثالث ٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م. من إخضاع الآراميين والفينيقيين وإسرائيل. وفي مسلّة شيلمنصر الثالث المشهورة التي عثر عليها بين أنقاض كالح. (نمرود). نشاهد عدة صور لحملات شيلمنصر على البلاد التي فتحها مع كتابات تحت الصور تشرح ما يمثله كلٌ منها. وتتكون هذه المسلة من الحجر الأسود عليها خمسة حقول متسلسلة كل منها مكرر أربع مرات في أربعة أطراف المسلة. ففي الأول من الجهة العليا يشاهد شيلمنصر نفسه يتلقى الجزية

من شوعة ملك جلزام، وفي الثاني يتلقى من ياهو ملك إسرائيل في أرض عومري. ويُرى الملكان ساجدين يقبلان الأرض عند أقدام شيلمنصر. وفي الحقول الثلاثة التالية ترى الغنائم والجزية.

وفي زمن ملك إسرائيل فقح (٧٣٩ - ٦٣١ ق.م) توجّه تجلات بلاشر الثالث إلى إسرائيل فاستولى على كل أراضيها. وسبى اليهود إلى آشور. وأحلّ محلهم سكاناً من أقاليم أخرى. تاركاً لخلف فقح الملك هوشع، مدينة السامرة. وقد قام تجلات بلاشر بهذه الحملة استجابة إلى طلب آحاز بن يوثام ملك يهوذا (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م) من تجلات بلاشر إنقاذه من ضغط الملك رصين ملك دمشق والملك فقح ملك إسرائيل وقدّم إلى ملك آشور كميات كبيرة من الذهب والفضة. وقد عثر على مسلّة آشورية نقش عليها شرح كامل لحملة تجلات بلاشر هذه على بلاد آرام وعلى إسرائيل، ثم جرد شيلمنصر الخامس خلف تجلات بلاشر حملة تأديبية على إسرائيل فحاصر عاصمتها السامرة مدة ثلاث سنوات، وقبل أن يظفر بالنصر النهائي وافته المنية في الشهر العاشر من عام ٧٢٢ قبل الميلاد. ولكن القائد الآشوري أتمّ مهمته باحتلال السامرة في نهاية العام على عهد سرجون الثاني خلف شيلمنصر. وبذلك تمّ استسلام السامرة والقضاء على مملكة إسرائيل نهائياً. وتبعاً للخطة التي سار عليها تجلات بلاشر الثالث أجلى سرجون الثاني (٢٧٢٨٠ شخصاً) من اليهود إلى ناحية حرّان وإلى ضفة الخابور ميديا. وقد أحلّ محلهم الآراميين من إقليم حماة، ثم لحق بهم العرب هناك عام ٧١٥ ق.م، وكذا بعض الأهلين من كوتا وبابل سنة ٧٠٩ ق.م.

وقد عثر الآثاري بوتا سنة ١٨٤٣ بين أطلال مدينة سمأل (زنجرلي) عاصمة الآراميين في شمال غرب سورية على مسلّة سرجون الثاني نقشت عليها باللغة الآشورية وبالخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على إسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها وحمل اليهود إلى الأسر.



٢ ـ ١. سنحاريب يحاصر أورشليم:

بقيت مملكة يهوذا تنتظر دورها وهي تتأجج في مهب الرياح بين رحمة حكومة مصر من الغرب ودولة آشور من الشرق فإذا انحازت للأولى غضبت عليها الثانية، وإذا انضمت إلى الثانية أغاظت الأولى. ولّما انحاز حزقيا ملك يهوذا إلى مصر غضب سنحاريب الذي خلف سرجون فصمم على القيام بحملة قوية على مملكة يهوذا لإخضاعها أو تدميرها والقضاء عليها كما فعل أسلافه بإسرائيل. فهبّ حزقيال وأرسل وفداً إلى مصر مستنجداً بملكها. فوعده المصريون بمده بالعون. فانتقده أشعيا على اعتماده على ملك مصر بدلاً من اعتماده على الرب بقوله: (ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة يستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جداً ولاينظرون إلى قدوس إسرائيل ولايطلبون الرب).

ومصدر مهم عن أخبار حملة سنحاريب هذه على مملكة يهوذا كتابات سنحاريب نفسه وقد نقشت على جدران قصره في نينوى إلى جانب صورته وهو

جالس على عرشه في مقر عملياته الحربية في لخيش. وقد ظهر وفد من يهوذا يقدمون الجزية وفروض الطاعة. ويظهر مما ورد في هذه المدونات أن سنحاريب اتجهَ غرباً حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط فاستولى على صيدون بعد فرار ملكها (لولي). دون أن يتحرش ببلدة صور لموقعها المنيع على الجزيرة. ثم جاءه تأييد الطاعة مع الهدايا من مدن الساحل من أرواد وبيبلوس وأشدود. وكذلك من دول الشرق من مؤاب وعمون وآدوم. وقد بعثت مصر بجيش من المصريين والأثيوبيين فاستولوا أولاً على عسقلان ثم اتجهوا شمالاً للاتصال بقوات حزقيال ملك يهوذا. إلاّ أن سنحاريب قابلهم وانتصر عليهم، ثم توجه إلى عقرون فهدمها. وأخذ يحتلّ مدن يهوذا الواحدة بعد الأخرى وقد اتخذ مقره في لخيش. ومنها بعث بجيش أقام الحصار على أورشليم. وفيما يلي نص كتابة سنحاريب يصف فيها انتصاراته على يهوذا فيقول:

أما حزقيا اليهودي فلم يرضخ لسلطتي فحاصرت ٤٦ مدينة من مدنه المحصنة عدا القرى المجاورة التي لايحصى عددها. واستوليت عليها كلها باستخدام أنواع الآلات الحربية والمنجنيقات، مما ساعدنا على الاقتراب من الأسوار واختراقها، وقد أخذنا من اليهود ٢٠٠١٥٠نسمة رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً، مع حيواناتهم من الخيول والبغال والحمير والجمال، كبيرة وصغيرة لاتحصى. وهذه كلها غنائم استولينا عليها. وأما حزقيا ملك اليهود فقد جعلته حبيساً في أورشليم، في قصره كالطير في القفص. وأحطته بأكوام الأتربة للتضييق على من يحاول الخروج من باب المدينة. سلّمت مدنه التي استوليت عليها إلى (ميتينى) ملك أشدود و(بادي) ملك عقرون و(سيليبل) ملك غزة. وهكذا قلصت حدود بلاده وفرضت زيادة في الجزية التي عليه أن يدفعها سنوياً.

لم تسقط مدينة أورشليم، إلا أن الجيش الآشوري ترك البلاد خراباً. ولم يستطع ملك يهوذا الاحتفاظ بعرشه إلاّ بعد أن دفع جزية مقدارها ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثون وزنة من الذهب. واعترف بسيادة الآشوريين. وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية.

٣ ـ ١. الغزو الكلداني وإزالة مملكة يهوذا:

وبعد انقراض الدولة الآشورية بسقوط نينوى سنة ٦١٢ق.م. اقتسم الماذيون والكلدانيون ممتلكاتها، فوقعت حصة الكلدانيين في سورية والعراق. وتأسست على أثر ذلك الدولة الكلدانية التي دام حكمها ٧٣ سنة بين سنة ٦١٢ و٥٣٩ ق.م. والذي يهمنا من حكم هذه الدولة قضاؤها على مملكة يهوذا وسبي اليهود إلى بلاد بابل. وقد أنجزت هذه العملية على عهد نبوخذ نصر الثاني، وهو أعظم ملوك هذه الدولة. حكم البلاد ٤٣ سنة بين سنة ٦٠٥، ٥٦٢ ق.م وذلك في حملتين الأولى في سنة ٥٩٧ق.م والثانية في سنة ٥٨٦ق.م وأهم مصادرنا عن ذلك التوراة لأن أكثر كتابات هذا الملك تنحصر فيما سجله من مدونات في وصف مشاريعه العمرانية. فتشير التوراة إلى أن الملك يهوياقيم ملك يهوذا (٦٠٨ ــ ٥٩٦) قبل الميلاد. تمرد على نبوخذ نصر على الرغم من تحذير النبي (إرميا) له. وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه للعاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات. ثم تضيف التوراة أن نبوخذ نصر أوعز في بادئ الأمر إلى السوريين والموآبين والعمونيين أن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت كل تلك الدويلات من النيل إلى نهر الفرات تحت قبضته. ثم شنّ نبوخذ نصر بعد ذلك سنة ٥٩٧ق.م. حملة على يهوياقيم فحاصر أورشليم. وأثناء هذا الحصار توفي يهوياقيم وخلفه ابنه يهوياكين الذي اضطر إلى الاستسلام. فسبى نبوخذ نصر كل يهود

أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وعشرة آلاف صبي وجميع الصناع والقيان. ولم يبق أحد إلاّ مساكين شعب الأرض. كما سبى يهوياكين وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم إلى بابل. وأخرج نبوخذ نصر جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب. ثم عين صدقيا عم يهوياكين خلفاً ليهوياكين الذي أكدّ ولاءه للملك الفاتح. وقد تمّ إسكان المسبيين وعوائلهم في منطقة تدعى نهر الخابور (قرب نيبور). وهذا كان خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في أمكنة متعددة وبعيدة عن بعضها لمنعهم من التكتل والتجمع وممارسة تقاليدهم وثقافتهم. فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى والاستمرار في ممارسة تقاليدهم وتكوين مجتمعهم الخاص بهم. كان هذا السبي الأول. ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق.م. وهذا وقع على أثر نقض (صدقيا) لعهد الولاء إلى نبوخذ نصر. إذ دخل حوالي سنة ٥٨٩ ق.م في تحالف مع المدن السورية والفلسطينية بتحريض من (حوفرا) ملك مصر ـ خلف نيخو الثاني ـ الذي كان يطمح إلى استعادة السيطرة على سورية. وهكذا فقد وضع صدقيا مصيره مع مصر وحلفائها على رغم محاولة إرميا إبعاده عن هذا الحلف الذي كان موجهاً ضمناً ضد نبوخذ نصر. فغضب نبوخذ نصر غضباًشديداً وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية إلى سورية الشمالية وعسكر في ربلا على نهر العاصي. وكان ذلك سنة ٥٨٧ ق.م. وأرسل نبوخذ نصر من حاصر أورشليم. إلاّ أن دخول حوفرا ملك مصر إلى فلسطين اضطر البابليين إلى رفع الحصار لمحاربته. فظن اليهود أن النصر بات حليفهم. ولكن النبي إرميا حذّرهم وأبان لهم بأنهم يخدعون أنفسهم بهذا النصر لأنه وقتي فوضعوه في السجن. ووقع كما تنبأ إرميا فعلاً فقد تمكن البابليون من صد المصريين وإرجاعهم على أعقابهم، ثم أعادوا بسط الحصار على أورشليم في الحال. ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وربما الوباء في المدينة مما اضطر اليهود إلى أن يرضخوا ويستسلموا، فدخلت الجيوش البابلية المدينة في اليوم الرابع من تموز سنة ٥٨٦ ق.م. أما صدقيا فهرب هو وأفراد عائلته، ولكن البابليين لحقوا به وقبضوا عليه وساقوه إلى ربلة حيث مقر معسكر الملك نبوخذنصر. وهناك ذُبِحَ أبناؤه أمام عينيه ثم فقئت عيناه، وأخذ مكبلاً مع الأسرى الى بابل. أما أورشليم

فخربت ودمرت تدميراً كاملاً. وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، وكل بيوت العظماء، وسلبت الخزائن ونقلت إلى بابل. وقد خُمِّن عدد الأسرى الذين سيقوا إلى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي ٥٠٠٠٠ شخص.

وبعد تخريب نبوخذ نصر لبيت المقدس وسبي بني يهوذا إلى بابل. ورث الأدوميون ديار يهوذا الجنوبية من الخليل إلى بئر السبع، فشرقاً إلى وادي عربة حيث يتصل بتخوم آدوم.

٤ ـ ١. اليهود في زمن الفرس الأخمينيين:

استفاد اليهود في أثناء وجودهم في الأسر في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها وخاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والتجارة، فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم، بما في ذلك اساليب شق الجداول وتطهيرها وطرق الري.

وفي بابل مارسوا شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم. ومنها كان نشوء التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي[1] حتى ليقال إنّ السبي البابلي كان عاملاً قوياً في تطور الدين.

ولّما فتح كورش الأخميني الفارسي بلاد بابل (٥٣٩ ـ ٥٣٨)ق.م سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر (أسر ٥٩٧ وأسر ٥٨٦ ق.م) الرجوع إلى فلسطين وأعاد إليهم كنائز الهيكل وأمر بإعادة بناء أورشليم وهيكلها على نفقة الملك. فعاد فريق منهم. ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصروا في أولئك الذين لم يُفلحوا كثيراً في

(١) وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيداً لليهود على اعتبار أنهم الشعب المختار وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض. كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض التي وهبها له إلهه الخاص دون الآخرين من الناس. استغرقت كتابة التلمود عشرة قرون. حتى القرن الخامس الميلادي.

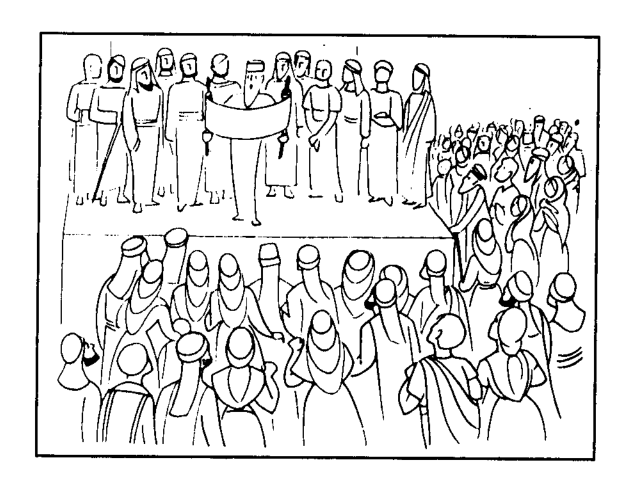
الأرض الجديدة والمتعصبون لإعادة بناء الهيكل، لأن الدلائل تشير إلى أن هناك عدداً غير قليل أصاب النجاح في بلاد بابل فأثروا وأصبحت لديهم ممتلكات كثيرة، ففضلوا البقاء وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير. وعُين أول حاكم على الجالية اليهودية شخص يدعى زربابل وهو تابع للدولة الفارسية. فشرع زربابل في بناء الهيكل. إلا أن الأقوام المجاورة كالحوريين والحيثيين والعمونيين والآدوميين احتجوا على ذلك وهددوا بالعصيان فأصدر (سمرديس) خلف قمبيز الثاني سنة ٥٢٢ق.م أمراً بتوقيف عملية البناء. ولكن دارا الأول أتاح لهم ذلك وأتموا بناء الهيكل على عهده سنة ٥١٥ق.م. وقد ترك اليهود استعمال اللغة العبرية وحلت محلها الآرامية. إذ كانوا في بابل وحتى بعد عودتهم إلى أورشليم يتكلمون باللغة الآرامية. وقد اقتصرت العبرية على الكتب الدينية وعلى الكتب المقدسة.

٥ ـ ١. أرتحششتا ملك الفرس يعين عزرا كاهناً أعظم:

كان عزرا موظفاً في بلاط إمبراطور الفرس ارتحششتا ومستشاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم في ما بين النهرين منذ أيام السبي. وقد تمكن عزرا لثقة الإمبراطور به وتلبيته لطلباته من أن ينال عفو الإمبراطور عن اليهود والسماح لهم بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين، مع موالاتهم وخضوعهم للفرس في علاقاتهم الخارجية.

وقد قام عزرا فور عودته إلى القدس بقراءة ناموس موسى أمام اليهود. وكان يقوم بتفسيره دلالة على أن اللغة التي كان يقرأ بها الناموس هي غير اللغة التي كان اليهود يتكلمون بها.

وقد قام عزرا بدراسة أوضاع اليهود الاجتماعية. وأوصى بتنقية الدم اليهودي وإبعاد الزوجات غير اليهوديات مع أولادهن.



وقد وافق الشعب على هذه التوصيات وطبقها. ولقد كان لعزرا سلطات واسعة بسبب رسالة الإمبراطور التي تنص على ما يلي:



من أرتحششتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل، سلام.

إني أصدرت أمراً لكلّ من شاء في مملكتي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع معك إلى القدس فليرجع... وتأخذ معك الفضة والذهب اللذين تطوع بهما الملك ووزراؤه لإله إسرائيل الذي مسكنه في القدس، وكل ما تجده من الفضة والذهب في بلاد بابل من تبرعات الشعب والكهنة لبيت إِلههم الموجود في القدس.

أنا الملك أرتحششتا قد أصدرت أمراً إلى جميع الخزّان الذين في بلاد عبر النهر بإعطاء ما يطلبه عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء عاجلاً ومهما كان...

وأنت يا عزرا بحسب حكمة إلهك التي وهبك إياها عيّن قضاة وحكاماً يقضون بين جميع الشعب الذين في عبر النهر.. وكل من لايعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك سيحكم عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة مال أو بالحبس...

٦ ـ ١. مكانة عزرا عند قومه:

كان عزرا أحد وجهاء اليهود المحبوبين ذوي الرأي المطاع والكلمة المسموعة النافذة، خضع لملوك الفرس الذين أحبوه لذكائه وحكمته وبسطوا عليه حمايتهم السياسية وأمدوه بالمال والمتاع، ولقبوه موسى الثاني لأنه قاد رجوعهم من السبي وأعاد كتابة التوراة وأحيا الشريعة اليهودية في نفوس اليهود بعد أن نبذوها وتمردوا عليها.

ويرى ابن كثير ـ في كتابه البداية والنهاية ـ أن عزرا هو العزير ويؤرخ له كما يلي:

إن بختنصر ـ ملك بابل ـ سبى العزير وهو غلامٌ حدثٌ فلما بلغ أربعين سنة أعطاه اللّه الحكمة. وقيل: لم يكن أحدٌ أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه، وكان يذكر مع الأنبياء، حتى سأل عن القدر فمحى اللّه اسمه من الأنبياء. والمشهور أن عزيزاً كان مجدد التوراة فإنه لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة، ألهمه اللّه حفظها فسردها على بني إسرائيل. وقيل إن اللّه أمر ملكاً فنزل بمغرفة من نور فقذفها في فم عزير فنسخ التوراة حرفاً بحرف، وهو جالس في ظل شجرة، وبنو إسرائيل حوله حتى فرغ منها. وكان ذلك في أرض السواد ـ بالعراق.

إن شخصية عزرا وأعماله وإخلاصه ومحبة الشعب اليهودي له، أهلته لكي يضاهي به اليهود مستعمريهم اليونانيين، وذلك في محاولة لردّ الاعتبار وتأكيداً للذات اليهودية التي بدأت تذوب في بوتقة الثقافة والفلسفة اليونانية الدخيلة، لذلك دعوا عزرا بابن اللّه.

٧ ـ ١. ابن اللّه عند اليونانيين.



في محاولة لفهم معنى كلمة ابن اللّه عند اليونانيين نورد النص التالي من إلياذة هوميروس:

نحن الآن عند كبير آلهة اليونان ـ زيوس ـ المتربع على عرشه في جبال الأولمب.

ينهض إله الحرب اليوناني ـ مارس ـ من مكانه غاضباً وذلك عندما يسمع أن ابنه عسقلاف قد قتل في الحرب. ويقول: لابل سأذهب الآن إلى السفن لأثأر لمقتل ولدي. ولو ضربت بصواعق زيوس القاصفة.

ثم طلب من الهول والرعدة إسراج جياده وإعطاءه أسلحته اللامعة. وكاد غضب زيوس أن ينزل بالأرباب لولا الإلهة أثينا التي نهضت من مجلسها وأوقفت مارس ثم أخذت الخوذة عن رأسه، والترس من على كتفه والرمح من يده. وبعد أن أجلسته على كرسيه قالت له: ماذا أنت فاعل أيها المجنون؟ هل تريد أن تجلب غضب زيوس علينا جميعاً؟ اطرح جانبا غيظك من أجل ابنك فقد صرع من الرجال من هم أشد منه قوة، وأكثر بأساً. وهكذا قتل ابن الإله وعجز والده حتى عن الأخذ بثأره، رغم رغبته في ذلك.

٨ ـ ١. ابن الله عند اليهود

عندما ترجم اليهود كتاب العهد العتيق إلى اللغة اليونانية، أعطوا ملوكهم وأنبياءهم ألقاب الألوهية، وجعلوا من أنفسهم أبناء الله ليرفعوا من معنوياتهم، وليستعلوا على الأمم التي غزتهم وانتصرت عليهم.

وعن طريق الترجمة دخلت شخصية وأفكار المترجم إلى النص الأصلي. كما حرّفت بعض النصوص والكلمات لتلائم ثقافة ونفسية القارئ اليوناني أو المثقف بالثقافة اليونانية الجديدة. كما أن تغير الزمان وتغير المكان يفرضان أسلوباً جديداً للترجمة لتلائم العصر وتؤثر بالقارئ بشكل إيجابي ليتحقق الغرض الذي من أجله ألّف الكتاب.

لذلك نلاحظ تغيراً وتطوراً في تفسير معنى ومغزى النصوص المقدسة التي تختلف من جيل إلى جيل. وكل من يدرك الفرق بين الإله الخالق والبشر المخلوق يعرف أن كلمة ابن الله الواردة في نصوص الكتاب المقدس ما هي إلا تعبير مجازي يدل على أشخاص قريبين من الله تعالى، يحبهم ويحبونه، يطيعون شريعته ويطبقون تعاليمه.

لذلك عندما ترجمنا الإسدراس استبدلنا بكلمة ابن الله كلمة عبد الله[١] . تعظيماً للذات الإلهية واحتراماً للعقل الإنساني ورجوعاً بالنص إلى أصالته بحذف مفاهيم المترجم المثقف بالثقافة اليونانية التي لاترى مانعا من أن يكون لله أولاد، صبيان وبنات. لقد نزه الله نفسه عن أن يكون له ولد يأكل الطعام ويحمل في بطنه العذرة ويخرجها من جوفه تشمئز منها النفوس وتهرب من منظرها العيون وتسدّ من رائحتها الأنوف، وندد بكل من ألصق به ولداً أو جعل له صاحبة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) وهي بمعنى نبي الله.

٩ ـ ١. نصوص من الكتاب المقدس.

تستخدم نصوص الكتاب المقدس الرمز وتستعمل المجاز وتدل بالتشبيه لتوضح للقارئ مفهوماً معيناً يقربه من الحقيقة. ونورد فيما يلي بعض نصوص الكتاب المقدس لكي يتوضح المعنى الذي نقصد إليه.

أورد سفر التكوين أن الجبابرة ولدوا من تزاوج أبناء اللّه من بنات الناس.

وموسى كليم اللّه أصبح إلهاً يتحكم بمصير فرعون. كما جاء في سفر الخروج.

فقال الرب لموسى انظر قد جعلتك إلهاً لفرعون، وأخوك هارون يكون نبياً لك.

أنت تتكلم بجميع ما آمرك به، وهارون يخاطب فرعون لكي يطلق بني إسرائيل من أرضه.

ويرغب داوود ببناء بيت يُعبد فيه الرب إله إسرائيل، ولكن اللّه يقول له:

سيولد لك ابن يكون رجل سلام وأنا أريحه من جميع أعدائه من حوله، لأن اسمه سليمان، وأمنح السلم والدعة لإسرائيل في أيامه، فهو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً وأنا أكون له أباً، وأقر عرش ملكه على إسرائيل إلى الأبد.

وفي قصة أيوب الذي صبر على البلاء يسمى الكاتب الملائكة بني اللّه وكان النص كما يلي:

واتفق يوماً أن دخل بنو اللّه ليمثلوا أمام الرب ودخل الشيطان بينهم، فقال الرب للشيطان من أين أقبلت؟. فأجاب الشيطان وقال للرب: من الطواف في الأرض والتردد فيها، فقال الرب للشيطان: هل لفت نظرك عبدي أيوب، فإنه ليس له مثيل في الأرض. إنه رجل مستقيم يتقي الرب ويجانب الشر.

والمزمور الحادي والثمانون يجعل من الأمراء والحكام آلهة وأبناء آلهة. ويجعل من الملك إلهاً أكبر يوبخ أتباعه الآلهة الذين يخطئون ويردهم إلى الصواب بتوجيهاته.

اللّه قائم في جماعة الآلهة يستشف دخائلهم ويحكم على ضمائرهم.

إلى متى تقضون بالظلم، وتحابون وجوه المنافقين؟.

احكموا للكسير ولليتيم وأنصفوا البائس والفقير.

قد قلت إنكم آلهة. وبنو العليِّ كلكم.

إلا أنكم مثل البشر تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون.

ويستعطف النبي أشعيا ربه يطلب منه المغفرة فيقول:

والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا. ونحن جميعاً عمل يديك. لاتغضب يا رب كل الغضب ولا تذكر الإثم إلى الأبد.

كان العزيز أحد الأشخاص المتقين لله الذين كشف اللّه عن بصيرتهم وألهمهم الصواب في أقوالهم وفي أعمالهم وهو يعرّف عن نفسه فيقول:

أنا عزرا بن سرايا من نسل هارون الكاهن.

وكذلك فعل جميع الأنبياء والرجال الصالحين المصلحين. فعرّفوا عن أنفسهم بأسماء آبائهم ولم يقل واحد منهم إني إله أو ابن إله. إن هذه الألقاب اخترعها المترجمون والمقلدون لليونانيين. وهي بعيدة عن الحقيقة بعد الصدق عن الكذب.

الفصل الثاني

البشرى بأمة محمد

١ ـ ٢. إدانة بني إسرائيل:

هذا هو الكتاب الثاني للنبي عزرا. وهو ابن سيرايا وحفيد عزريا ويرتفع نسبه إلى ـ حلقيا ـ شالوم ـ صادوق ـ أحيطوب ـ إحيا ـ فنحاس ـ إيلي ـ عمرايا ـ عزريا ـ مريوث ـ عرنا ـ عوزي ـ بوريث ـ أبي شوع ـ فنحاس ـ العازر ـ هارون. كاهن بني إسرائيل ونبيهم.

أنا عزرا. كنت مأسورا في ميديا أثناء حكم الملك الفارسي أرتحششتا. أمرني مولاي رب العالمين قائلا: اذهب إلى بني إسرائيل وذكرهم بآثامهم وخطاياهم التي اقترفتها أيديهم، وليخبروا أولادهم وأحفادهم بذنوبهم. لقد أثم هذا الجيل وأخطأ تجاهي أكثر مما أخطأ آباؤهم، ذلك أنهم نسوا ذكري وقدموا الأضاحي والقرابين لآلهة الأجانب.

ذكّر بني إسرائيل يوم أنجيتهم من ذل العبودية في مصر. يومها فعلوا أشياء أحفظتني عليهم فحلّ عليهم غضبي. لقد أصموا آذانهم عن سماع تحذيراتي. إن عصيانهم أوامري ورفضهم شريعتي تدفعك لتلعنهم وأنت تشدّ شعرك غيظاً وحنقاً، متمنياً لهم الكوارث والنكبات التي يستحقونها. إلى متى أبقى متسامحاً مع هذا الشعب الذي فعلت من أجله الكثير؟

لقد صبرت عليهم طويلاً. ومن أجل خلاصهم أهلكت ملوكاً عديدين. سحقت فرعون وجنوده، أغرقتهم في اليم. لقد حطمت الأمم التي اعترضت طريقهم. شتت جيرانهم في صيدا وفي صور. وأفنيت جميع أعدائهم.



عزرا. أخبرهم أني جاوزت بهم البحر. ومهدت أمامهم طرقاً آمنة في القفر الموحش. لقد جعلت موسى قائدهم وهارون كاهنهم. وأرسلت أمامهم عمود نور يرشدهم إلى الطريق وسط الصحراء. صنعت لهم المعجزات والخوارق، ولكنهم نسوني.أرسلت لهم طائر السلوى طعاماً لهم ودليلاً على عنايتي بهم. زودتهم بالخيام تحميهم من لفح حر الصحراء. فعلت كل ذلك من أجلهم، ولم يكن منهم سوى التذمر. إنهم لم يتحسسوا مساعدتي لهم، ولم يشكروني عندما كنت أهزم لهم أعدائهم، ولم يكن لهم عمل سوى التذمر.

يا بني إسرائيل، هل نسيتم البركات التي أنعمت بها عليكم هناك في الصحراء، حيث كنتم جوعى وعطشى تبكون وتصيحون وتقولون لموسى: لماذا أخرجتنا إلى الصحراء؟. ألتقتلنا؟. لقد كان حالنا أفضل في ظل عبودية المصريين.

لقد سمعت أنينكم وأشفقت عليكم وأرسلت إليكم المن (نبات يدعى خبز الملائكة ـ من الفطريات) لتشبعوا. وفجرت لكم من الصخرة عين ماء تروي ظمأكم وتقضي احتياجاتكم. زودتكم بالأشجار تتفيؤون ظلالها وتحميكم من

حر الشمس. أقطعتكم الأراضي الخصبة وطردت من أمامكم الكنعانيين والفرزيين والفلسطينيين. وكل من حاول اعتراض تقدمكم. وماذا تنتظرون مني أن أقدم لكم أو أن أفعل من أجلكم أكثر من هذا.

أنسيتم يوم وقفتم في الصحراء عطشى أمام بركة الماء المرّ، تشتمون وتلعنون؟ وبدلاً من أن أعاقبكم وأرسل عليكم ناراً تستأصلكم، بدلاً من ذلك رحمتكم وهديت موسى إلى أغصان شجرة يابسة تجعل الماء المرّ حلواً.

يا بني إسرائيل ماذا تظنون أني فاعل بكم..؟.

٢ ـ ٢. أمة محمد بدلاً من بني إسرائيل.

يا أولاد اليهود لقد عصيتم أوامري لذلك سوف أحوّل وجهي تجاه شعب آخر. أجعله خاصتي وتحت إشرافي وعنايتي. يتمسك بشريعتي ويعمل بها.

أما أنتم فلأنكم ابتعدتم عني فلسوف أهجركم. وإن استعطفتموني فلن أرحمكم. وإن صليتم لي فلن أتقبل صلاتكم. ذلك لأنكم لم تترددوا عند ارتكاب جرائمكم. وها إن أيديكم لاتزال ملطخة بالدم الزكيِ الطاهر الذي سفتكموه.

لقد ارتدّ إليكم عملكم الشرير، وحاق بكم مكركم السّيِّئ. لقد رعيتكم كما يرعى الوالد أبناءه. حنوت عليكم كما تحنو الأم على بناتها. عطفت عليكم كما تعطف المرضعة على ظئرها. أعطيتكم فرصة لتكونوا شعبي وأكون إلهكم. لتكونوا لي أبناء وأكون لكم أباً. لقد بسطت عليكم ظل حمايتي كما تبسط الدجاجة أجنحتها لتحمي أفراخها.

والآن ماذا تظنون أني فاعل بكم؟..

سأعاقبكم. ولن تشملكم بعد الآن رعايتي. لن أتقبل منكم القرابين والأضاحي. سوف أعرض عنكم. لن أهتمّ بأعيادكم ولا باحتفالاتكم. وأما ختانكم الذي تتباهون به فلا أهمية له عندي. لقد بعثت إليكم رسلاً وأنبياء فقتلتموهم ومثلتم بجثثهم ولسوف تدفعون ثمن جرائمكم. سأجعل هيكلكم مهجوراً. سأشتتكم

وأبعثركم كما تبعثر الريح كومة تبن. وأما أولادكم فلن يكون لهم كرامة أو كيان بعد اليوم لأنهم مرتدّون عن تعاليمي يقلدونكم بفعل ما أكره.

سأعطي بلدكم لشعب جديد يوشك على الظهور. هذا الشعب يؤمن بي رغم أنه لم يسمع بي من قبل. سيفعلون كل ما آمرهم به رغم أني لم أساعدهم بالخوارق والمعجزات. ولم أبعث إليهم بالرسل والأنبياء. إنهم سيحيون تعاليم إبراهيم[١] القديمة. لقد أعطيت وعدي القاطع بأني سوف أباركهم هم وأولادهم. لأن إيمانهم حقيقي وعميق يكمن في قلوبهم ويفيض على جوارحهم. إنهم لم يروني ومع ذلك يؤمنون بي ويتبعون كلامي الذي أوحيه إليهم.

أيها الأب عزرا. انظر بفخر واعتزاز إلى أولئك الآتين من الشرق[٢] الذين جعلوا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب وباقي الأنبياء قدوة لهم يسيرون في الطريق الذي رسموه لهم.

لقد أنقذت بني إسرائيل من الذل والعبودية في مصر وأعطيتهم الشريعة والكتاب، ولكنهم أصموا آذانهم وتجاهلوا أوامري ورفضوا تعاليمي.

٣ ـ ٢. مدينة القدس للمسلمين.

مدينة السلام المقدسة تنادي أبناءها المسبيين في بابل. يا أبنائي عودوا إلى الصراط المستقيم. لقد أصبحت كأرملة فقدت مؤنسها. لقد ابتهجت بمولدكم ولكنكم مشيتم في طريق الشر والغواية وعصيتم أوامر الرب العظيم وفعلتم كل إثم وضلال. وعندما فقدتكم بكيت عليكم بحرقة ومرارة وحزنت عليكم كثيراً. والآن أنا أرملة وحيدة ولا أستطيع أن أفعل من أجلكم شيئاً. لذلك اتجهوا يا أولادي نحو اللّه واسألوه الرحمة.

---

(١) لم يذكر اسم إبراهيم في النص الإنكليزي وإنما ذكر التعاليم القديمة.

(٢) ربما كان الأصل من الجنوب بدلاً من الشرق.

أيها الأب عزرا. أدعوك لتشهد ضد بني إسرائيل كما شهدت عليهم أمهم القدس. لقد رفضوا أن يحفظوا عهدي؛ لذلك سوف أعاقبهم بالفوضى والاضطراب. سأدمر مدينتهم التي لن يسكنها أحفادهم. سيتفرقون بين الأمم ولن يذكرهم أحد بخير لأنهم استخفوا بعهدي.

أيها الأشيريون (غير الآشوريون. سكنوا بين جلعاد ويزرعيل) عقابكم أليم وفظيع لأنكم سمحتم لأعداء الدين بالاختباء داخل حدودكم.

أيتها الأمة الأثيمة تذكري ما فعلته بقرى لوط (سدوم وعمورة) فأرضها لاتزال مغمورة بكتل القطران وأكوام الرماد. وهذا ما أفعله بمن يعصي أوامري.

أيها الأب عزرا. أعلن بأن مدينة القدس لن تكون بعد اليوم لبني إسرائيل. سأهبها لشعبي الجديد. وسأحرم بني إسرائيل من الإشراقات القدسية. وسأهدي نور النبوة لشعبي الجديد. سأعطيهم المسجد الأبدي الخالد. الذي كنت قد أعددته لبني إسرائيل. وستملأ شجرة الحياة الروحية الأرض من حولهم وعبق عبيرها ينتشر بين الأمم.

سأبارك لهم في عملهم. ولن يتعبوا في تحصيل رزقهم وسيعطون كل ما يطلبون.

عزرا. ادع اللّه أن يقرّب أيام ظهور المملكة التي أهيئها للوجود. ولتشهد الأرض والسماء بأني أنا اللّه الحيّ خالق الخير وماحي الشر.

وأنت يا قدس يا مدينة السلام افتحي ذراعيك لتستقبلي أبناءك الجدد. وسددي خطاهم ليسلكوا الطريق القويم. ابتهجي بسموهم كما تبتهج الحمامة عند طيران صغارها.

أنا اللّه اخترتك مدينة مقدسة. إني أستعد لكي أنفخ نسمة الحياة في أجساد سكانك الجدد الذين سأخلقهم ليكونوا شعبي المختار.

يا قدس لاتجزعي من الآتين الجدد. فأنا اخترتك لهم واخترتهم لك. وسأرسل ما وعدت به رسوليّ أشعيا وإرميا. وسأمنحك اثني عشر رئيساً[1] خيرهم عميم كاثنتي عشرة شجرة محملة بأنواع الفواكه. أو كاثنتي عشرة عيناً تفيض بالسمن والعسل وستكتسي جبالك السبعة بأنواع الورد والرياحين. وسيسعد أبناؤك الجدد هناك في مجتمع الرحمة والمحبة، حيث لاتهضم حقوق الأرامل، ولايؤكل مال اليتيم. وسيكتسي الفقير ويُجبر خاطر المسكين. لن يسخر أحد من المقعدين، ولن يتعدى أحد على الضعفاء والمساكين. سيوجد من يخفف الأسى عن المكفوفين[2] ويفتح عيون قلوبهم على حقائق الإيمان. سيعيش الشباب والشيوخ في أمنٍ وسلام في ربوع القدس. وسيكون للأموات كرامة فيدفن كل واحد منهم في قبر خاص به يحمل دلالة عليه.



سيكون لك يا مدينة القدس كرامة وشرفٌ حينما يهب شعبي الجديد من رقاده. كن مطمئنا يا شعبي الجديد فقد اقترب زمانك. وأنت يا مدينة القدس استقبلي أبناءك الجدد بمحبة وسددي خطاهم على الطريق السوي، حتى لايضيع واحد منهم أو يشذ. وعندما يحين وقتهم سوف أعلي جاهك لتتمكني من إيفاء التزاماتهم. يا قدس لاتجزعي أيام الفتن والمتاعب فعندما

---

(١) جرى إضافة اثني عشر رئيسا ليتم المعنى. وهو وعد الله لإبراهيم بأن سيكون من إسماعيل اثنا عشر رئيسا وهؤلاء هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين ملؤوا الدنيا بالعدل والسلام وفاض الخير على أيديهم وفي زمانهم. حتى لم يبق فقير أو كسير.

(٢) انظر تاريخ الوليد بن عبدالملك وغيرهم من خلفاء المسلمين الذين اعتنوا بإنشاء البيمارستانات وخصص الوليد لكل أعمى رجلاً يقوده ويعتني به وذلك لأول مرة في التاريخ.

تبكي وتندب المدن الأخرى يحفظك اللّه. ستصبحين سعيدة وغنيـة. وستحسـدك المدن الأخرى لمكانتك. ولن تمتد إليك يدٌ بالشر أو الأذى. فسـأحميك بقوتـي. ابتهجي لأن جهنم لن تكون من نصيب أبنائك بعد موتهم.

تذكري يا قدس دائماً أبناءك الجدد المخبوئين في ظهر الغيـب سـأظهرهم مـن مكمنهم. أمسكي بالطيبين من أبنائك حتـى يحيـن وقـت مجـيء شـعبي الجديـد. أخبريهم عن فضلي ورحمتي المتدفقين كينبوع لاينضب.

٤ ـ ٢. بشرى إلى الأمم. بشرى إلى عبَّاد الوثن.

يقول عزرا: عندما كنت في جبل سيناء أمرني الرب بالتوجه إلى بني إسـرائيل لكي أبلغهم رسالته، ولكنهم رفضوني ولم يصغـوا إلـى أوامـر اللّـه. لذلـك أتوجـه بخطابي إلى الأمم إلى عبّاد الوثن: أيها الناس هل أنتم مستعدون للاستماع؟

هل تريدون أن تفهموا وأن تتعلموا.؟

إذاً انتظروا فقريباً جداً سيأتي نبيكم الذي سيرعاكم. إنه نبي آخـر الزمـان. إنـه سيجلب لكم الراحة الأبدية الدائمة. استعدوا لاستقبال دولة الإيمان حيث تغمركم البركات ويعمر قلوبكم نور اللّه إلـى الأبـد. تحـرروا مـن ظـلام العصـر الحـاضر، واقبلوا الفرح الآتي المعد لكم.

الرب يدعوكـم ويقـول لكـم: آمنـوا برسـولي الـذي أشـهد لـه علانيـة وجهـراً بوضوح وعلى رؤوس الملأ[1] أنه رسولي منقذ الإنسانية. افرحوا به واشكروا اللّـه على هدايته لكم وقبوله إياكم في دولة الإيمان. استعدوا لرؤية العديد من المؤمنـن الذين جعل اللّه سيماهم في وجوههم. لقـد خرجـوا مـن ظـلام الشـرك إلـى نـور الإيمان يرتدون الثياب البيضاء رمز الطهر والإيمان.

---

(١) أذان المسلمين من فوق المآذن كل يوم خمس مرات في كل المساجد وفي معظـم المـدن والقـرى فـي العالم (أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه).

يا قدس استقبلي المؤمنين بشريعة اللّه أولئك الذين ستكتمل بهم مجموعة المؤمنين الذين أشار اللّه إليهم في كتبه.

يا قدس ادعي اللّه أن تأتي دولة الإيمان وشعب اللّه الذي اختاره وقدّسه قبل خلق العالم.

٥ ـ ٢. على جبل عرفات.

يقول عزرا: رأيت حشداً هائلا متجمعا على الجبل المقدس. كانوا جميعا يهللون ويكبرون ويحمدون اللّه تعالى. وقد وقف في وسطهم رئيسهم وهو شاب مديد القامة. أرفع شأناً من[١] الجميع يمنحهم أكاليل النصر وتيجان الفخار. يضعها على رؤوس الحاضرين.

كان منظراً مهيباً رائعا يخلب اللب ويأسر الفؤاد. فسألت الملاك الواقف بجانبي: من هؤلاء القوم يا سيدي؟

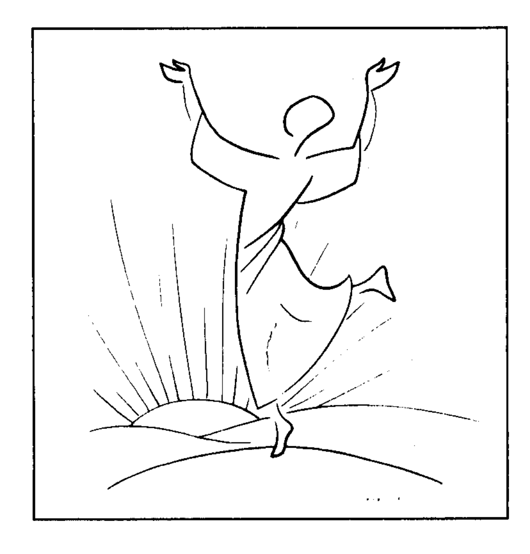


(١) وقف النبي صلى اللّه عليه وسلم على جبل عرفات يبارك المسلمين ويبين لهم أمور دينهم.

قال: هؤلاء قوم أسلموا لله قلوبهم. سمت نفوسهم وتطهرت أرواحهم. خلعوا العلائق المادية الفانية، ولبسوا ثياب الروحية الخالدة. لذلك تفوقوا وانتصروا وهذه الأكاليل والتيجان وأغصان النخيل التي يتقلدونها جوائز انتصارهم.

سألت الملاك: من ذاك الرئيس الذي يضع التيجان على رؤوسهم ويسلمهم أغصان النخيل؟

أجاب الملاك: إنه عبد اللّه[1] وهؤلاء الذين وقفوا حوله هم الذين جهروا بإيمانهم علانية رغم الاضطهاد الذي أصابهم ممن حولهم.



نظرت بإعجاب وإكبار إلى أولئك الأبطال المؤمنين.

بعد ذلك قال لي الملاك: إذهب وأخبر بني إسرائيل بما رأيت وشاهدت من عجائب قدرة اللّه الخارقة.

---

(١) في الأصل ابن اللّه. وكلمة ابن اللّه في الكتب المسيحية واليهودية تعني نبي اللّه.

الفصل الثالث

القدر ـ وعلامات القيامة

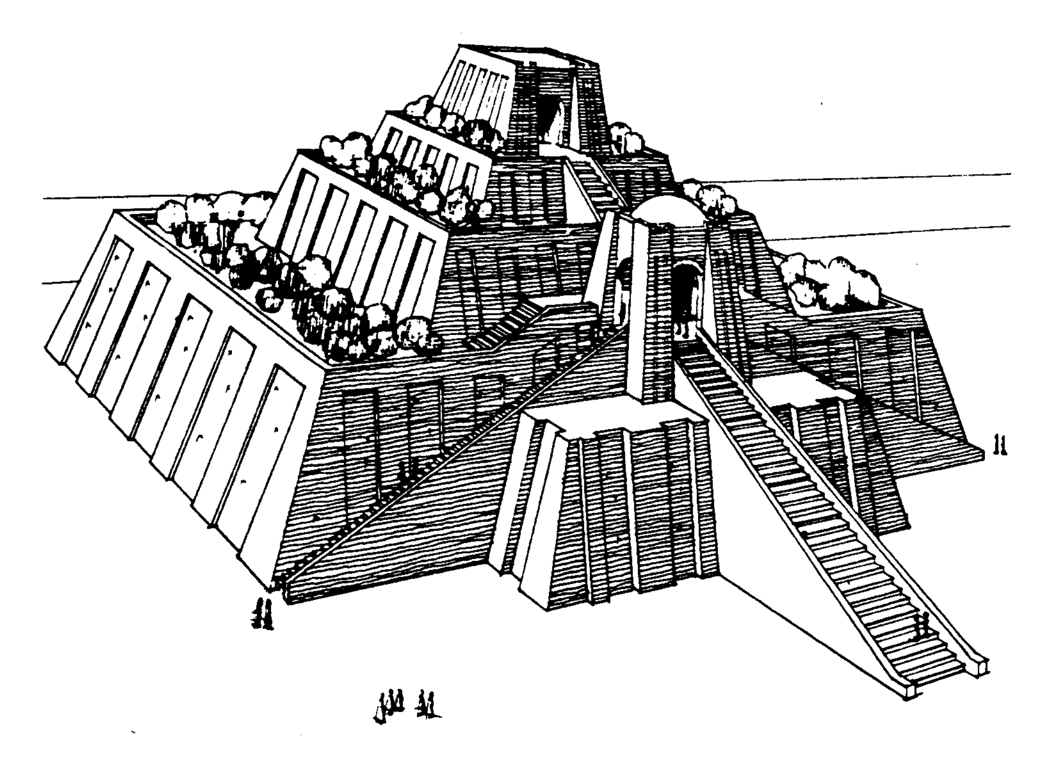
١ ـ ٣. ضعف النفس البشرية.

كان ذلك في بابل بعد سقوط مدينة القدس بثلاثين عاماً. عندما أرقت ذات ليلة أرقاً شديداً وبدأت أقارن بما حل بمدينة القدس من خراب. وما يقابله الآن من رخاء اقتصادي ونعمة يتمتع بهما أفراد الجالية اليهودية في بابل.

أنا عزرا الملقب بـ شالت إيل[١] كنت متضايقاً جداً. وبدأت أشرح همومي ومخاوفي للّه عزّ وجل. قلت: إلهي مولاي وسيدي. أنت الواحد الأحد خلقت العالم بكلمة كن فكان. وخلقت آدم بيديك من تراب ثم نفخت فيه روح الحياة. وأسكنته جنة عدن التي أنشأتها قبل أن تنشئ الأرض. أمرت آدم أمراً واحداً فعصاك، فأهبطته إلى الأرض ليعاني هو وأحفاده من الموت. وتكاثر آدم وبنوه وأصبحوا شعوباً وقبائل عديدة تعمر الأرض.

---

(١) معناها: سألت اللّه.



وبعد زمن بدأت تلك الشعوب تتصرف على هواها مبتعدة عن أوامرك منغمسة في الشر. لقد أمهلتها ولكنك لم تهملها، وأرسلت عليها مياه الطوفان تغرق كل شيء بإذن ربها، وأنجيت نوحاً وأولاده ومن تبعه من المؤمنين وأهلكت الباقين.

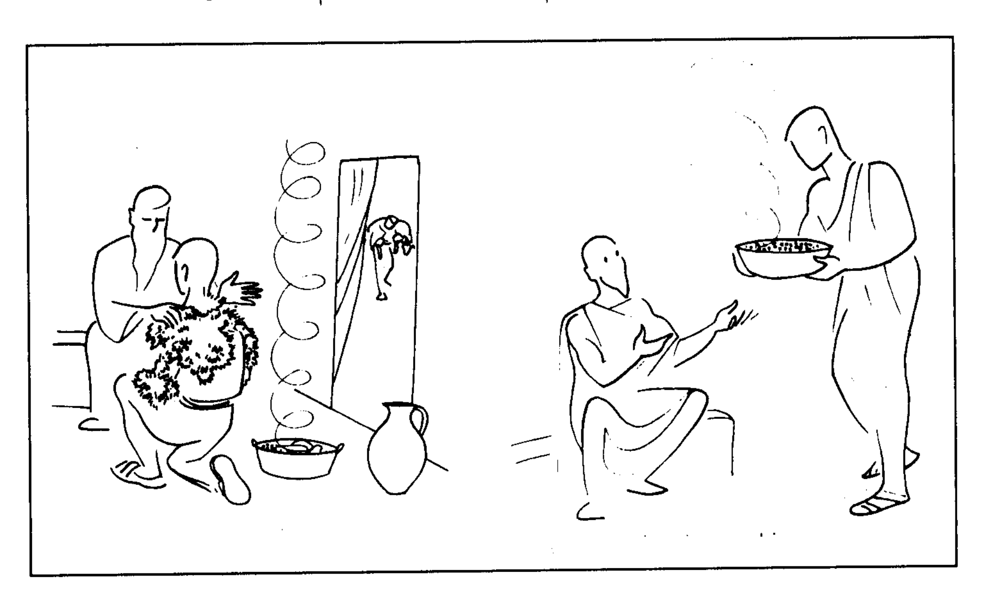
وبارك اللّه نوحاً وأولاده فنموا وتكاثروا وأصبحوا شعوباً وقبائل جديدة. ولكنهم تصرفوا كما لايرضيك وانغمسوا في الشر والإثم أكثر ممن سبقهم من الأمم والشعوب.

عند ذلك انتخبت إبراهيم، اصطفيته، أحببته وأطلعته على ملكوت السموات والأرض، وقطعت معه عهداً أبدياً بأنك لن تهجر ذريته ولن تضيعها. وهبت له

إسحاق ومن بعذ إسحاق يعقوب الذي تفرعت منه أسباط بني إسرائيل. أما عيسو[1] فقد أهملته.

٢ ـ ٣. كل ممنوع مرغوب.

مولاي. لقد أنجيت بني إسرائيل من فرعون مصر. وواعدتهم عند جبل سيناء. وهناك تعانقت الأرض مع السماء. يومها تزلزل الجبل من هيبتك وأضاء المكان من نور حضرتك. ومن وسط الزلزال ودخان النار والريح العاصفة استلم أبناء يعقوب ألواح شريعتهم منك، ولم تجبر اليهود على اتباع الخير. ولم تمنعهم من فعل الشر، بل تركت لهم حرية الاختيار بعد أن أوضحت لهم طريق الخير المنجي، الذي عليهم أن يسلكوه وطريق الشر والإثم المهلك الذي عليهم أن يجتنبوه.

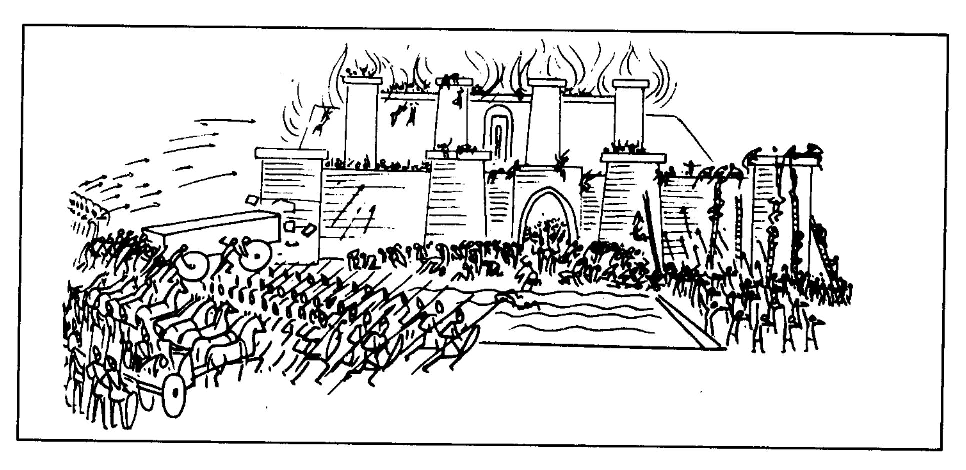


(١) هو توأم يعقوب. كان شهماً كريماً. تزوج من ابنة عمه إسماعيل وانضم إلى العرب. والتوراة تقول إن الآدوميين كانوا من أحفاده. احتال عليه يعقوب فاشترى منه البكورية بصحن عدس ثم احتال عليه مرة أخرى وسلبه بركات أبيه إسحاق وهذا بحسب ادعاء اليهود. كما ورد ذلك في سفر التكوين.

آدم بالذات ضعف أمام بواعث الشر الكامنة في النفس الإنسانية. لم يستطع مقاومة إغراء الممنوع. أخطأ آدم وهزم، رغم وضوح الطريق أمامه لذلك هبط من عليائه.

أولاد آدم وأحفاده انغمسوا في الإثم. لم يستطيعوا مقاومة أهوائهم رغم وضوح مبادئ الخير والصلاح في نفوسهم وضمائرهم، ورغم معرفتهم للقانون الإلهي، وذلك أن كل ممنوع مرغوب، لذا نرى أن الخير مؤقت والشر مستمر.

بعد عديد من السنين أرسل اللّه نبيه داوود ليبني مدينة السلام، حيث تقدم القرابين والأضاحي باسم اللّه تعالى. ولكن سكان مدينة القدس المقدسة عصوا أوامرك وتمردوا على شريعتك كما فعل ذلك من قبل أبوهم آدم وذريته من بعده. ذلك أنهم يحملون أيضاً بواعث الشر في نفوسهم لذلك سقطت المدينة المقدسة وداسها أعداؤها.



٣ ـ ٣. عقوبة شعب اللّه الخاص.

حدثت نفسي وقلت لها: إن اللّه سمح للبابليين قهر القدس ذلك أنهم لابدّ أفضل منا. ولكن عندما دخلت بابل وجدت أهلها يرتكبون آثاماً ومخازي أكثر من أن أستطيع عدها. وخلال ثلاثين عاماً رأيت خاطئين كثيرين ومذنبين عديدين، لذلك تشوشت أفكاري إذ رأيت اللّه يمدّ الكافرين في طغيانهم ولايعاقبهم، وفي

الوقت ذاته يحاسب شعبه الخاص ويطبق عليه أشدّ العقوبات. لم أفهم الحكمة من هذا التصرف ولم أعرف كيف أوازن بين الأمور.

بالتأكيد مدينة القدس أفضل عند اللّه من مدينة بابل، وبنو إسرائيل هم الشعب الوحيد الذي عرف اللّه وقبل شريعته، والشعوب الأخرى لاتعرف اللّه ولاتنتظر عهوده، وبنو إسرائيل لم يتلقوا أي مكافأة ولم يجنوا أي ربح[1] أو فائدة من إيمانهم.

لقد تنقلت في البلاد، وشاهدت حال العباد. رأيت الأجانب أولي ثروة وغنى وهم لايطبقون أوامر اللّه تعالى. بل هم منغمسون في الشر من أخمص أقدامهم إلى أعلى من رؤوسهم. وإذا ما وازنت بين آثامهم وأخطائهم مع أخطاء وآثام بني إسرائيل لرأيت أن كفة آثام الأجانب ترجح بسهولة.

وعلى طول الأيام ومدى الزمان كانت الشعوب تذنب وتخطئ تجاهك يا رب. ولكن هل توجد أمة من الأمم حفظت وصاياك كما فعل بنو إسرائيل؟ ربما يكون هناك عدد من الأفراد بين الأمم حفظ وصاياك وسلك طريق البر أمامك، ولكن لايوجد شعب بأكمله فعل ذلك.

٤ ـ ٣. قدرات الإنسان محدودة.

جاءني ملاك النور ـ أوريل ـ ليقول:

أرسلني اللّه تعالى إليك لأشرح لك أنك لاتستطيع تفسير ما يحدث أمامك من أشياء عادية. فهل تظن أنه بمقدورك فهم وتفسير غايات قضاء اللّه وقدره الذي يجريه على البشرية؟

أجبت: أظن أنه بإمكاني فهم ذلك.

(١) جزاء الإيمان والعمل الصالح هو الحياة الطيبة في الدنيا والخلود في الجنة في الآخرة. وفوائد الإيمان لاتعد ولا تحصى من كثرتها.

قال الملاك: إذاً امتحن قدرتك وإمكانياتك في ثلاثة أشياء تحيط بك، فإن أجبت عن أحد أسئلتي عندها أفسر لك بعضاً من غايات اللّه في قضائه وقدره. واشرح لك الدور الإيجابي لدوافع الشرّ الكامنة في النفس الإنسانية وأنها أساس التقدم الإنساني.



قلت: موافق يا سيدي فاسأل.

قال: أولا. كيف تزن رطلاً من النار.

ثانياً: كيف تقيس مكيالاً من الريح.

ثالثاً: كيف تعيد يوم البارحة الذي مضى[1]

قلت: لماذا تسألني مثل هذه الأسئلة التي ليس بمقدور بشر أن يجاوب عنها؟

قال: إذاً ما تقول لو سألتك عن عدد مساكن الأحياء المائية تحت البحر؟ ماذا تقول لو سألتك عن جداول الماء المنساب تحت الأرض؟

ماذا تقول لو سألتك عن مقدار المياه التي تحملها الغيوم في السَّماء؟

ماذا تقول لو سألتك عن مكان أبواب الخروج من عالم الموت؟

ماذا تقول لو سألتك أين تكون أبواب الجنة؟

لو أني سألتك مثل هذه الأسئلة لقلت لي كيف لي أن أعرف ماذا يوجد تحت البحر أو تحت الأرض أو ماذا في السماء؟. وكذلك تقول لي: لم أدخل عالم الأموات ولم أزر الجنة. كل ما سألتك عنه هو: النار ـ الهواء ـ اليوم الذي مضى. وتلك أشياء مألوفة لديك عايشتها وعاينتها منذ صغرك، فأظهرت عجزك، فكيف تسأل وأنت ذا العقل والإمكانيات المحدودة عن قضاء اللّه وقدره؟. وهل يمكن للإنسان الفاني فهم قدر اللّه الباقي؟

(١) استطاع الإنسان حديثاً قياس كمية الحرارة. واستطاع وزن الجزئيات وبالتالي وزن الغازات المحصورة في حيز ما. كما استطاع استعادة ذكرى الأمس بواسطة التسجيل المرئي والصوتي.

عندما سمعت هذا الكلام خررت ساجداً على الأرض وقلت للملاك: ألم يكن من الأفضل لنا لو لم نولد ونعيش في هذا العالم المليء بالإثم والألم، دون أن نفهم لماذا تجري الأحداث من حولنا هكذا؟.

٥ ـ ٣. التوازن في الطبيعة وفي الحياة.

أجاب الملاك أوريل: إن القدر يخلق التوازن في الطبيعة وفي الحياة. مثلاً: لو تركت الأشجار تتكاثر بعشوائية لامتلأت الأرض بالغابات. ولكن النار تأتي على قسم كبير منها. ولايبقى سوى الأشجار المقدر لها أن تبقى.

وكذلك فإن الأمواج تريد أن تقتحم اليابسة ولكن الشاطئ يوقف زحفها ويلزمها حدها، والإنسان لايستطيع فهم الأقدار لأنه ينظر إليها بعين الهوى والمصلحة الشخصية العاجلة. وكما فهمت أن للغابات حدوداً وللبحار شواطئ. وكما أنه ليس للأشجار أن تتجاوز حدودها، وللبحار أن تتخطى شواطئها. كذلك فإن الإنسان يسمع ويرى ما يجري حوله على الأرض ولكنه لايستطيع تعدي حدوده وفهم ما يقدر في السماء.

قلت سيدي: إذاً لماذا أعطي الإنسان المقدرة على فهم كل شيء. أنا لا أهتم بما يجري في السماء. أنا فقط أهتم بما يجري حولنا من أحداث.

٦ ـ ٣. بذور الشر وحصادها.

لماذا سمح اللّه للأمم الأجنبية وطء بني إسرائيل وإهانتهم؟.
لماذا جعل شعبه الذي يحبه في قبضة يد الأمم الوثنية التي لاتعترف باللّه؟.
لماذا حُرمنا الشريعة والعهود التي قطعها اللّه لأجدادنا؟.
لماذا لم يعد لنا أهمية وحرمة عند اللّه تعالى؟.
لماذا سحقنا وتركنا لنموت كالحشرات؟.
لماذا حياتنا قصيرة. أقصر من زفرة؟.

لماذا يرى اللّه أننا لم نعد نستحق رحمته؟.

لماذا لايفعل اللّه شيئا لمساعدة شعبه الخاص؟.
هٰذه هي أسئلتي التي أريد إجابة عنها.

أجاب الملاك أوريل: لو أنك عشت إلى الزمان الآتي لأعجبك ما سوف تراه، لأن هذا الحال سيزول. زمننا الحاضر مليء بالبؤس والشقاء، وهو غير مؤهل لتتحقق فيه جميع الأماني الطيبة والحياة المباركة، التي وعدها اللّه عباده الصالحين. والشر الذي تسأل عنه أصبح مزروعاً في كل مكان. وعلى الناس الأشرار حصاد مازرعوه . ولكن تريث قليلاً فإن وقت الحصاد لم يحن بعد. وبعد الحصاد وزوال الشر تماماً يتجدد العالم وتظهر نباتات الخير والصلاح.

بدأ الشر بذرة واحدة وذلك عندما خالف آدم أوامر اللّه. فالشر هو معصية اللّه تعالى. هل تتصور كم سيبلغ محصول شرور البشرية قبل حصاده النهائي الذي سيتم يوم الحساب؟

لك أن تتصور المحصول السَّيِّئ والضخم الذي جناه آدم بسبب معصية واحدة. فكم سيكون محصول أخطاء البشرية فظيعاً يوم الحساب!

سألت الملاك: كم سيطول الانتظار حتى يحصل هذا؟

لماذا تمتلىء حياتنا القصيرة بالأسى والألم؟.

أجاب أوريل: لاتكن عجولاً فاللّه الحليم يؤقت للأشياء أوقاتها بالشكل الصحيح. أما أنت فتنظر إلى الأمور من زاويتك الشخصية. أما اللّه فإنه يدبر أمر الكون بأجمعه. إن استعجالك للأمور يشبه استعجال أرواح المؤمنين الصالحين المحجوزة في عالم البرزخ تنتظر وتقول: كم سيطول مكثنا؟. متى يأتي يوم الحساب؟. متى نلقى جزاء أعمالنا الصالحة؟

ويجيبهم رئيس الملائكة (يرمئيل) قائلاً: سيحدث ذلك عندما يحضر إلى هنا كامل عدد أولئك الذين عانوا وتحملوا الاضطهاد من الآخرين بسبب إيمانهم كما تحملتم أنتم وعانيتم بسبب إيمانكم. لن يتغير شيء حتى يتمّ الزمان دورته التي قدرها اللّه له.

قلت للملاك: سيدي. أيتحتم على الأموات الصالحين انتظار مكافآتهم حتى يكمل أهل الأرض آثامهم؟.

أجاب: أليس على الحامل انتظار تسعة أشهر حتى يأتيها المخاض وبعدها تلد؟.

قلت: هذا صحيح يا سيدي.

قال الملاك: كذلك الأمر في عالم الأموات حيث يحفظ اللّه أرواح المؤمنين الصالحين في مكان يمكن تشبيهه بالرحم. وهو متشوق ليخرج إلى الوجود ما يحفظه منذ بداية الخليقة. كما يمكن تشبيهه بامرأة تستعجل انقضاء مدة حملها لتنتهي آلامها. وعندما يحدث ذلك فسوف تجد الأجوبة الشافية لجميع أسئلتك.

٧ ـ ٣. علامات القيامة.

قلت سيدي: هل لك أن تجيبني عن سؤال أقدّر أني أستطيع فهمه. ما هو مقدار الزمن المستقبل الآتي حتى ينتهي العالم؟. هل هو أطول من الزمن الغابر أم أقصر؟. أنا أعرف مقدار الزمن الذي مضى. ولكن لا أعلم مقدار المستقبل.

وللإجابة عن سؤالي طلب مني الملاك الوقوف على يمينه قرب النافذة وقال: سأريك مشهداً وأشرح لك مغزاه.

وقفت جانب الملاك ونظرت فإذا نارٌ عظيمة متألقة تمرّ من أمامي. وعندما ابتعدت النار خلفت وراءها دخاناً خفيفاً من أثرها، ثم مرّ أمامي سحاب ثقيل هطل منه مطرٌ غزير، ثم توقف هطول المطر وما زالت بعض قطرات ماء خفيفة عالقة في الجو تنزل ببطء.

قال الملاك: فكّر بما رأيت وقارن بين كمية المطر الهاطل وكمية المطر العالق في الهواء، وقارن بين النار المتألقة وما تركته من دخان. كذلك فإن الزمن الآتي أقل من الزمن الماضي وبنفس النسبة.

سألت الملاك: هل تظن أني قد أعيش إلى ذلك الزمان؟

أجاب: أنا لا أعرف إلى متى ستعيش. ولكن إذا كان سؤالك عن موعد القيامة فأنا أيضاً لا أعرف موعد حدوثها. ولكني أستطيع إخبارك عن العلامات والأحداث التي تسبقها. وهي:

يفقد الناس السكينة والطمأنينة ويعيشون في قلق نفسي، ويسيطر عليهم هيجان عصبي مدمر. يضمحل الإيمان ويختفي، ويضل الناس فلايعرفون طريق الحق.

تشيع الفاحشة بين الناس، وتكثر المعاصي والذنوب ويصبح الوضع الأخلاقي أسوأ مما تعرف أو تتصور.

أما مدينة بابل التي تحكم العالم الآن فستصبح خرائب وأطلالاً غير مأهولة أو مطروقة. وإن كتب الله لك عمراً وعشت إلى ذلك الزمان فسترى ما يحدث في تلك الفترة من اضطراب شديد وانقلاب في الأوضاع الطبيعية.

سوف تشرق الشمس من مغربها، ويتحول الليل نهاراً تشرق فيه الشمس، ويتحول النهار ليلاً يسطع فيه القمر[1]

سوف تسيل الدماء من الأشجار. سوف ينطق الجماد.[2]

ستضطرب الأمم. ستغير النجوم مساراتها.

سيحكم البلاد ملك لا يحبه أحد ولا يريده أحد.

ستهاجر الطيور والعصافير، ويُغسل السمك ويؤكل على شواطئ البحر الميت.

سيُسمع ليلاً صوت شخص لا يعرفه كثير من الناس. وكل شخص سيسمع هذا الصوت.

ستتصدع الأرض. وتنشقّ في عدة أماكن وتقذف باللّهب والحمم.

ستهجر الحيوانات البريّة الحقول والغابات.

ستحمل النساء أثناء دورتها الشهرية مسوخاً مشوهة.

---

(١) يتحول الليل نهاراً بسبب إضاءة الكهرباء والسهر بالليل. أما النهار الذي يتحول إلى ليل، فهو من زيادات المترجمين والناسخين.

(٢) الراديو ـ التلفزيون ـ الهاتف.....

سيصبح الماء الحلو مالحاً[1] .
سيتعدى الأصدقاء على أصدقائهم ولن ترى فهماً أو تعقلاً.
سيختفي المنطق والبرهان ولن تجد أحداً يهتم بهما أو يسأل عنهما.

ستزداد الذنوب والخطايا، ويعم التعدي والاغتصاب، وستسأل كل بلدة البلدة المجاورة لها إذا رأت عدلاً أو صدقاً، أو مرّ بها أحد يدلّ على الخير، وسيكون الجواب بالنفي.

سيأمل الناس كثيراً ولكنهم لن يحصلوا على شيء.

سيعمل الناس بجد ولكنهم لن ينجحوا بأي عمل.

هذه هي علامات النهاية التي سمح لي أن أطلعك عليها، ولكن إذا واظبت على الصلاة والصيام مدة سبعة أيام أخرى فسوف أنبئك بأشياء جديدة.

بعد ذلك أفقت من حلمي وأنا أرتجف مرتعشاً وجاء الملاك ليشدّ على عضدي ويقوي همتي حتى استطعت أخيراً أن أتمالك نفسي، وأمشي على قدمي.

في تلك الليلة جاءني فلطئيل قائد الشعب والمسؤول عنهم ليسألني: أين أنت يارجل؟.

لماذا تبدو حزيناً؟. لماذا تهمل واجبك تجاه المنفيين من بني إسرائيل؟.

ألست المسؤول عنهم؟. أليسوا تحت إشرافك ورعايتك؟.

وقال: انهض يا رجل وتناول طعامك. ولا تتركنا بلا راع كقطيع غنم تُرك تحت رحمة الذئاب المتوحشة. عند ذلك غادر فلطئيل وتركني وحدي.

---

(١) يتغير طعم الماء بسبب التلوث. والأمطار الحمضية.

الفصل الرابع

تســـــاؤلات

١ ـ ٤. لماذا... ولماذا.



بعد صلاة وصيام لمدة سبعة أيام بدأت مناجاة جديدة. قلت: يا رب. إن لك اصطفاء وانتخاباً لشيء من الأشياء. فأنت قد اخترت الكرمة وباركت فيها أكثر من جميع النباتات التي على الأرض. ومن بين جميع الأراضي اخترت وباركت أماكن العبادة.

ومن كل الورود والرياحين اخترت وباركت الزنابق. لقد فضلت النهر على البحار العظيمة، وباركت

مدينة القدس وفضلتها على جميع المدن، واخترت الحمام فهو أكثر الطيور والعصافير خيراً وعطاءً، وباركت في الحملان فهي نتاج حيوانات مباركة وكثيرة النفع للإنسان، واخترت بني إسرائيل من بين جميع الشعوب والأمم، وأعطيتهم شريعتك التي يعظمونها في كل مكان.

وبعد. أسالك يا مولاي لماذا سلّمت شعبك للشعوب الأخرى تنال من هيبته وكرامته وتجعله ذليلاً مهاناً؟.

لماذا تسمح ببعثرته وتشتيته بين الأمم؟.

لماذا تسمح للأمم الأخرى التي لاتؤمن بك سحق الشعب الذي عاهدك وينتظر وعودك؟.

إن كنت غاضباً على شعبك فلم لا تعاقبه بنفسك؟.

بعد هذه التساؤلات جاءني الملاك الذي كان قد أتاني من قبل وقال: أنصت إليَّ باهتمام وأنا أعلمك شيئاً جديداً. رجوته قائلاً: من فضلك زدني علماً ومعرفة سيدي.

قال: هل أنت مهتم وقلق على مستقبل بني إسرائيل؟.

هل تظن أن محبتك لهم أكبر من محبة اللّه الذي خلقهم؟.

أجبت: لا أظن، ولكني قلق ومضطرب ولا أرى مخرجاً لما نحن فيه. لذلك يخطر على بالي مثل هذه الأسئلة. فأنا لا أستطيع فهم الحكمة التي يبغيها اللّه من وراء قضائه فينا.

أجاب الملاك: حقاً إنك لن تفهم ولن تستطيع فهم ذلك. قلت: ولم يا سيدي؟ أواه لماذا خلقت في هذا الزمان؟. ليتني عشت سابقاً. ومتّ قبل هذا الزمان حتى لاأرى ما يعانيه بنو إسرائيل من ذل ومهانة.

قال الملاك: سأخبرك بما تريد إن استطعت الإجابة عن أسئلتي.
أخبرني عن عدد أولئك الذين لم يخلقوا بعد؟.

هل يمكنك جمع حبات المطر المتساقط دون أن يضيع منها شيء؟.
هل بإمكانك إعادة الحياة الى الزهور التي ذبلت؟.
هل يمكنك إطلاق الريح المحبوسة لتهب وقتما تشاء؟.
هل يمكنك تجسيم الصوت حتى أتمكن من رؤيته؟.

إذا كنت حقاً تستطيع فعل هذه الأشياء فعندها أجيبك عن أسباب عذاب ومهانة بني إسرائيل.

أجبت: لايقدر على فعل هذه الأشياء إلا اللّه وحده، فهو الذي يفعل ما يريد. وماذا أعرف أنا حتى تنتظر مني أن أجيب عن أحد أسئلتك؟.

قال: إذا كنت لاتستطيع فعل أو معرفة أي شيء مما سألتك عنه فكيف تظن أنك تستطيع فهم ومعرفة حكم اللّه وقضائه، أو فهم كيف يتكفل اللّه العناية بشعبه؟.

٢ ـ ٤. التدرج في الخلق سنة الحياة.

قلت للملاك: سيدي، لقد تكلمنا عن أولئك الذين سيشهدون القيامة، فهل لك يا سيدي أن تحدثني عن أحوال أولئك الذين سيعيشون قبل ذلك الوقت؟.

أخبرني عما سيحل بنا نحن الذين نعيش في هذا الزمن؟.

ثم كيف حال أولئك الذين جاءوا قبلنا وكيف سيكون حال الذين سيأتون بعدنا؟.

أجاب: إن بُعْدَ أيام الدنيا وبُعْدَ الأجيال المتعاقبة عن يوم الحساب متساوٍ يشبه تساوي بُعْد محيط الدائرة عن مركزها. وبما أنه لايوجد نقطة بداية على محيط الدائرة ولا يوجد نقطة نهاية، وأنّ البداية والنهاية متقاربتان، كذلك فإن الأوائل لم يأتوا مبكرين جداً كما أن الأواخر لن يحضروا متأخرين.

قلت سيدي: أوليس بمقدور اللّه أن يخلق جميع البشر دفعة واحدة. وفي زمن واحد، بحيث نعيش مع الأوائل ومع الأواخر في زمن واحد، بهذا يقترب يوم الحساب وتكون الحياة الدنيا كلها بمقدار حياة جيل واحد؟.

أجاب: إن اللّه لايعجل بعجلة مخلوقاته، كما أن العالم لايستطيع استيعاب المخلوقات جميعاً دفعة واحدة وفي زمن واحد.

قلت: ألم تخبرني آنفاً أن اللّه سيحيي جميع المخلوقات التي خلقها عبر الأجيال في يوم واحد هو يوم الحساب. فإن كان العالم يستوعبهم في ذلك اليوم فهو قادرٌ على استيعابهم هذا اليوم.

أجاب: إن ما تقوله يشبه قولك لامرأة لها عشرة أولاد لماذا لم تلدي أولادك العشرة دفعة واحدة، بدلاً من ولادتهم واحداً تلو الآخر؟.

قلت: من المستحيل أن تطلب من امرأة هذا الطلب لأنها لاتقدر على إنجاب أولادها دفعة واحدة.

قال: وعلى هذا المنوال وبنفس الطريقة فإن العالم يشبه الرحم. فهو يقذف بني الإنسان على التتابع في فترات زمنية محددة. والقاعدة المعروفة وهي أن البنت الصغيرة والمرأة العجوز لايمكن أن تلد، تنطبق على العالم الذي خلقه اللّه.

قلت سائلاً: بما أنك طرقت الموضوع هل العالم في زماننا هذا لايزال شاباً فتياً أو أنه في مراحله الأخيرة؟.

أجاب: يمكنك معرفة الجواب من ملاحظة أبناء امرأة أنجبت عدة أولاد. الأولاد الذين أنجبتهم في شبابها أكثر طولاً وفتوة من أولئك الذين أنجبتهم في شيخوختها. وإذا لاحظت أن جيلك الذي تعيش فيه أضعف أو أصغر حجماً من الأجيال التي سبقته، وأن الجيل الذي هو بعد جيلك أضعف من جيلك تستنتج أن العالم قد أصبح في طور الشيخوخة وفقد قوته وشبابه واقترب من نهايته.

٣ ـ ٤. نهاية العالم.

ثم سألت الله أن يريني الشخص الذي سيتم على يديه القضاء على العالم، فأعلمني أنه خلق العالم لم يشاركه في خلقه أحد، وهو وحده الذي سوف ينهي العالم دون وساطة أحد، وأنه قد اتخذ هذا القرار قبل خلق العالم، قبل إنشاء أبواب السماء، قبل أن تهب الرياح، قبل أن يومض البرق، قبل أن يقصف الرعد، قبل إرساء قواعد الجنة، قبل أن تظهر الأزهار الجميلة، قبل أن تخلق القوى التي تحرك النجوم، قبل أن تدعى الملائكة إلى الاجتماع، قبل أن يرتفع الهواء في الجو، قبل أن تعطى طبقات السماء أسماءها، قبل أن يختار جبل صهيون موطأ لقدميه، قبل أن تُخط أقدار العصر الحاضر، قبل أن يُلعن الأثمة ومدبروا السوء. وقبل أن يوسم بخاتمه جباه عباده الصالحين[1] المحافظين على الشريعة الحائزين على كنوز الإيمان.

ثم سألت الملاك عن الفترة التي ستفصل بين عالميْ الدنيا والآخرة.

فأجاب بأن المدة لن تكون أطول من الزمن الذي كان بين ولادتي حفيدي إَبراهيم التَّوْأَمَيْن عيسو ويعقوب ابْنَيْ إسحاق، إذ ولد يعقوب وهو ممسك بيده كعب قدم عيسو.

وإذا كان عيسو يمثل الوقت الحاضر ـ الدنيا ـ فإن يعقوب يمثل العهد الجديد ـ الآخرة ـ فإذا كانت يد يعقوب تمثل البداية وكعب عيسو تمثل النهاية، فعليك أن تستنتج الزمن الفاصل بين عالميْ الدنيا والآخرة.

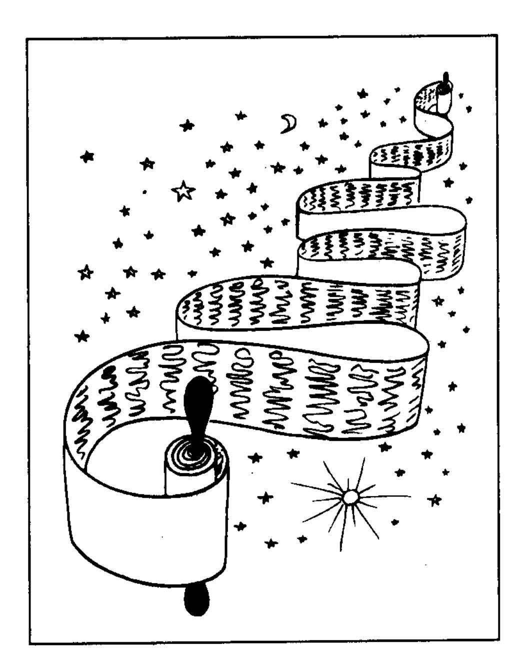
قلت: هل لسيدي أن يستجيب لطلبي وهو أن يريني بعضاً من مشاهد نهاية العالم، استكمالاً لما رأيته في ليلة سابقة؟.

أجاب: ستسمع الآن صوتاً عالياً جداً فلاتجزع وخاصة أن الذي تقف عليه سيهتز بشدة، ذلك الصوت سوف يتحدث عن نهاية العالم.

---

(١) ورد في القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعرفون المسلمين حسب الآية الكريمة ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة﴾ سورة الفتح الآية ٢٩.

بعد ذلك سمعت صوتاً يشبه هدير نهر صاخب. قال الصوت: اقترب الوقت الذي سوف أدين فيه العالم، جميع سكان الأرض. سأعاقب الظالمين الذين تعدوا على حقوق غيرهم. سينتهي احتلال مدينة القدس وتعود إليها كرامتها.



هذا العصر الذي يوشك أن ينقضي سوف يطوى وسيبدأ عهد جديد علاماته كما يلي.

سوف تنتشر الكتب عبر السماء[1] حتى يقرأها جميع الناس.

سوف ينطق الأطفال ويتكلمون ولمّا يتجاوزوا السنة الأولى من أعمارهم.

سيعيش الأطفال الذين حملت بهم أمهاتهم لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر.

ستصبح الحقول المزروعة جرداء.

ستنضب فجأة المخازن والمستودعات المليئة[2].

بعد ذلك سينفخ في الصور فيستحوذ على قلب كل إنسان يسمعه.

سيتقاتل الأصدقاء كأعداء. وستُروّع الأرض ومن عليها.

ستتوقف الأنهار عن الجريان وتبقى كذلك لمدة ثلاث ساعات.

بعد هذه الأحداث وقبل يوم القيامة ستبقى قلة من الأحياء. هؤلاء الأحياء سيرون الأشخاص الذين لم يموتوا أبداً. بل رفعوا إلى السماء[3].

ستتغير عواطف البشر وطرق تفكيرهم. سيتحطم الشر وتزول الخديعة ويبطل الغش.

---

(١) إشارة إلى البث التلفزيوني. حيث حلّ التلفزيون مكان الكتاب.

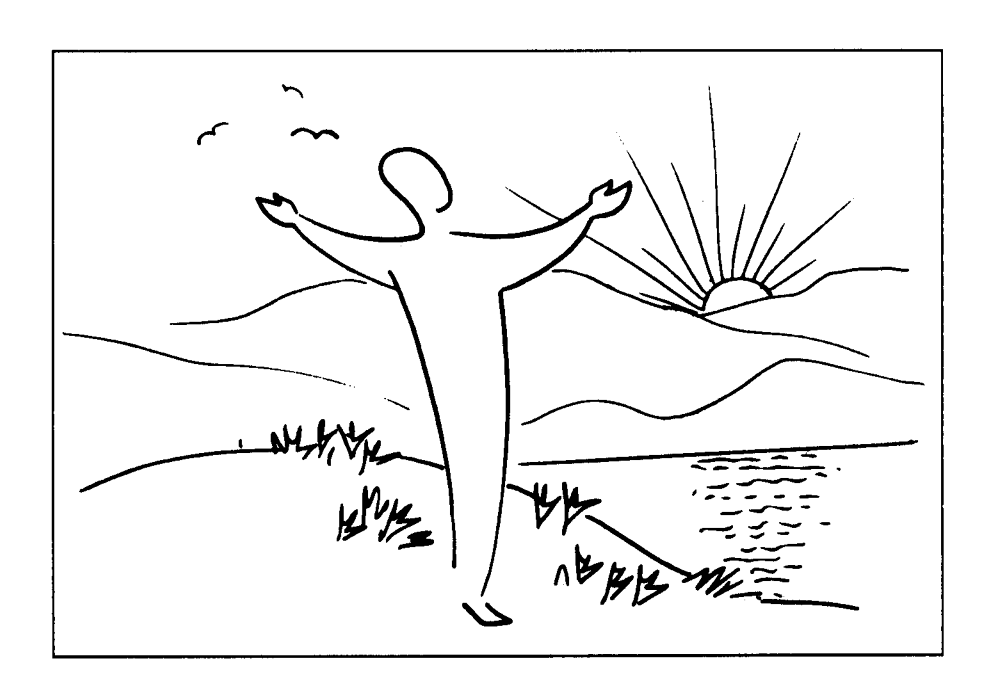
(٢) إشارة إلى نفاد البترول فجأة.

(٣) إشارة إلى الشهداء في سبيل الله.

سينمو الإِيمان ويقوى، وينمحق الفساد الأخلاقي ويزول.

سيؤتي الإِيمان والصدق ثمارهما.

كان الصوت يتحدث معي والأرض تهتز من تحتي. وبعدما قال لي الملاك: إذا صمت وصليت لمدة سبعة أيام أخرى فسوف أعود لأخبرك بأشياء جديدة أعظم مما أخبرتك به اليوم، ذلك أن اللّه اطّلع على سريرتك منذ أن كنت شاباً، وقد أرسلني لأريك بعض الأشياء. لذلك كن شجاعاً. ولاتسأل أسئلة لافائدة منها، ولا تكن عجولاً في أسئلتك عن نهاية العالم.



الفصل الخامس

الصراط المستقيم

١ ـ ٥. خلق الدنيا في ستة أيام.

صمت مدة سبعة أيام وأنا أبتهل إلى اللّه. وهكذا أكملت ثلاثة أسابيع. وفي اليوم الثامن شعرت باضطراب وبدأت أناجي اللّه وأنا متوتر الأعصاب مشدود القلب. قلت: إلهي ومولاي في اليوم الأول بدأت الخليقة بأمرٍ منك فقلت للعالم الذي نسكنه كن فكان. في ذلك اليوم كانت الروح[1] هائمة والظلام يعم المكان، والهدوء والسكون يشملان كل شيء ولم يكن قد سُمع صوت إنسان بعد.

أمرت أشعة الضوء بالنفاذ إلى الأرض، فكان ذلك وظهرت أعمالك للعيان.

وفي اليوم الثاني خلقت الملاك المتصرف بالسماء، وأمرته أن يفصل بين المياه، فكانت مياه على الأرض وغيوم في السماء.

---

(١) يقصد الرياح العاصفة.

وفي اليوم الثالث أمرت المياه بالتجمع بعضها مع بعض في مكان واحد. وجففت باقي الأرض لكي يمكن حراثتها وزراعتها. وكلمتك كن سرت في الكون ونُفّذ ما تقول فوراً.

وفي لحظة واحدة ظهرت جميع أنواع الفواكه والخضار التي ترضي مذاق كل ذوّاق، وكانت هناك أزهار بأشكال جميلة ذات ألوان بهيجة ساحرة، تفوق الوصف وتعلو على الخيال.

وفي اليوم الرابع صفا الجو وظهرت الشمس في النهار، وبدد القمر ظلام الليل تحيط به النجوم الزاهرة.

سخّرت كل ذلك من أجل الإنسان الذي لم تكن قد خلقته بعد.

وفي اليوم الخامس أمرت الماء المغطي لقسم من الأرض بإنتاج الأسماك والطيور، وكان كما أمرت. وجعلت من الماء كل شيء حيّ، ليتعرف الناس على أعمالك العظيمة.

وبعد ذلك فرّقت بين الدواب والزواحف، لأن البحر لم يعد قادراً على حملهم معاً. وعاشت الدواب على اليابسة وبقيت الزواحف لتعيش في الماء.

يسّرت سبل الحياة لجميع المخلوقات في البرّ والبحر. وهكذا استطاع شعبك المختار الاستمتاع والتلذذ بأكل هذه الحيوانات في المناسبات والأعياد التي يختارها.

وفي اليوم السادس[1] أمرت الأرض فأنتجت الحيوانات البرية والأهلية، الكبيرة والصغيرة على حد سواء. وأهم من ذلك كله خلقت آدم وأعطيته السيطرة على جميع المخلوقات التي خلقتها قبل ذلك.

ونحن شعبك المختار من ذرية آدم. خلقت العالم من أجلنا. ونحن نعلم أن عدد سكان الأمم الأخرى كبيرٌ جداً، ولكنهم مهملون لاقيمة ولاوزن لهم عندك بسبب كفرهم. ورغم ذلك سمحت لهم بالتغلب علينا وتحطيمنا واستعبادنا. لقد دعوتنا

---

(١) هذا الترتيب يتفق مع ما جاء في سفر التكوين.

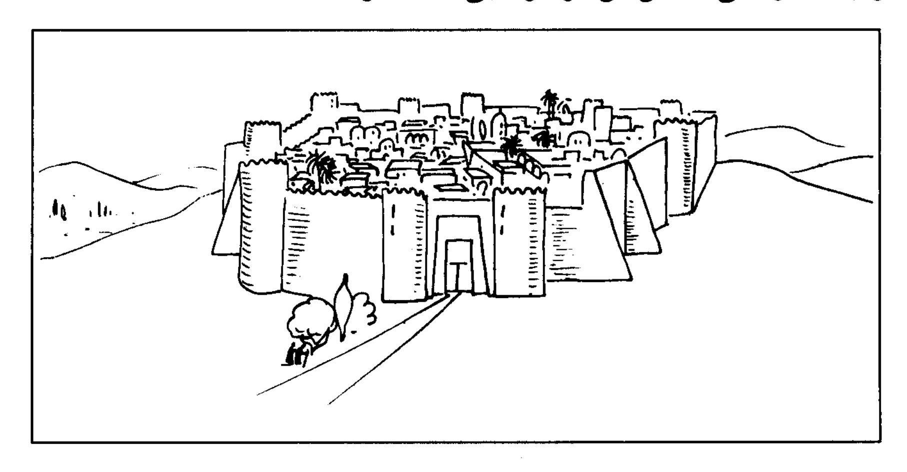
مرّة بابنك البكر، ومرّة بابنك الوحيد، وجعلتنا شهوداً على وجودك وعلى وحدانيتك. لقد كنا أحباءك المختارين.

إننا اليوم محكومون بقبضة الأمم الأجنبية القوية. فإذا كان هذا العالم مخلوقٌ من أجل شعبك المختار فلماذا لاتجعله ملكاً لنا؟. كم علينا أن ننتظر حتى ننال العالم ونصبح أسياده.

٢ ـ ٥. الطريق الضيق والصعب.

وعندما أنهيت كلامي جاءني الملاك الذي حضر في الليالي السابقة وقال لي: استمع يا عزرا لما سأقوله لك. قلت: تفضل يا سيدي.

قال: تخيل في ذهنك بحراً واسعاً عميقاً له مدخل ضيق عرضه يساوي عرض نهر عادي. ولايمكن لأحد الدخول إلى هذا البحر بقصد العبور والسفر إلاّ عن طريق هذا المدخل الضيق. ولأضرب لك مثلاً آخر. تخيل مدينة واسعة منظمة تحوي جميع الأشياء الجميلة. المدخل إلى هذه المدينة عبارة عن طريق ضيق شديد الانحدار. على الطرف الأيمن من هذا الطريق يوجد خندق تشتعل فيه النيران، وعلى الطرف الأيسر من هذا الطريق يوجد خندق عميق مملوءٌ ماءً، ولايستطيع عبور الطريق الضيق أكثر من شخص واحد. فإذا ما ورث شخص هذه المدينة أفما عليه أن يجتاز الطريق الخطر حتى يتمكن من الوصول إلى المدينة واستلامها؟.



أجبت: هذا صحيح يا سيدي.

قال: وهكذا الأمر مع بني آدم. لقد خُلِقَت الأرض من أجلهم. ولكن بما أن آدم أخطأ بمعصية اللّه تعالى فقد توجب عليه وعلى ذريته للدخول إلى هذا العالم وامتلاكه سلوك الطريق الضيق الوعر المليء بالمخاطر. وأما الطريق المؤدي إلى عالم الآخرة فهو واسع عريض مأمون ويقود إلى الحياة الأبدية. وعلى كل إنسان عاش على الأرض أن يسلك الطريق الضيق والصعب في هذه الحياة الدنيا ليربح الثواب والحسنات المدخرة له في الآخرة.

ولكن قل لي يا عزرا، لماذا أنت خائف وقلق من الموت والفناء؟. لماذا تحصر اهتمامك في الحياة الآخرة بدلاً من الاهتمام بالوقت الحاضر؟

قلت: يا سيدي، مذكور في الكتاب أن الصالحين سينالون الثواب في الآخرة، أما أصحاب الذنوب والمعاصي فسوف يهلكون، لذلك فإن المؤمنين الصالحين يستطيعون تحمل الصعوبات والآلام في الدنيا، واجتياز الطريق الضيق الصعب بنجاح، وذلك بسبب الأمل الذي يطمحون به دخول عالم الأبدية الواسع في المستقبل. بينما على العصاة والمذنبين اجتياز الطريق الضيق في الدنيا دون أمل في حياة آخرة.

اعترض الملاك قائلاً: هل تظن أنك تستطيع الحكم بعدل أفضل من عدالة اللّه؟. هل تحسب أن حكمتك أصوب من حكمة اللّه العزيز الحكيم؟.

قد يكون الموت أفضل من الحياة لأولئك الذين يهملون تعاليم اللّه ولايطبقونها في حياتهم. لقد بيّن اللّه تعاليم واضحة صريحة ليطبقها كل إنسان يأتي إلى هذه الدنيا. فإذا طبّق الإنسان تلك التعاليم، نجا من العقوبة القاسية وفاز بالحياة الأبدية السعيدة.

ولكن العصاة والآثمين لن يستجيبوا لنداء الإيمان ولن يطيعوا أوامر اللّه. إنهم يرتكبون الآثام وينغمسون في الخطايا جاحدين فضل اللّه منكرين فضله رافضين وعوده. لذلك فإن جزاء المبطلين هو لاشيء وإن ثواب المحسنين هو كل شيء.

الفصل السادس

المسـيّا[1] المنتظـر

١ ـ ٦. ظهور مكة.

عندما يحين الوقت يظهر عبدي المسيّا ومعه أتباعه المؤمنـون بـه. وذلـك بعـد حدوث العلامات التالية.

المدينة المغمورة المهملة تظهر وتصبح قبلة لجميع المؤمنين.

والأرض المخبوءة لأمر هام تظهر للعيان.

وكل أولئك المضطهدين سوف يعجبون ممّا سأصنع.

عندها يظهر عبدي المسيّا ليجلب للعالم أربعمائة سنة[2] من السعادة والسرور. وبعد ذلك فإن عبدي المسيّا سوف يموت هو وجميع أفراد الجنس البشري.

وبعد ذلك يعود العالم إلى صمته كما كان في البداية. وذلك خلال سـبعة أيـام بعدد الأيام التي أنشئ فيها العالم عند البداية. ولن يكون هناك أحد حياً.

---

(١) عندما سئل المسيح عن اسم المسيّا المنتظر قال إن اسمه المبارك هو محمد ـ إنجيل برنابا.

(٢) بلغت أمة محمد أوج قوتها خلال ٤٠٠ سنة انتشر فيها العدل والسلام في العـالم. ثـم بعـد ذلـك داهـم الصليبيون والتتار الدولة الإسلامية وخربوا معالم الحضارة فيها. واستوعب الإسلام المعتدين وأذابهم فـي بوتقته بعد صراع دام ثلاثة قرون ونصف.

٢ ـ ٦. العصر الجديد.

بعد سبعة أيام يزول العصر الفاسد من الوجود ويبدأ فجر عصر جديد. عندها تتبعثر القبور ويخرج الموتى من أجداثهم، وتنطلق الأرواح من الأماكن التي كانت محفوظة فيها. وعندما يستوي الرحمن على العرش للقضاء والفصل بين الناس تختفي الرحمة والإمهال ويحلّ مكانهما العدل المطلق.

في تلك الساعة تظهر قيمة الإيمان، وقيمة الصدق والإخلاص، وتنتشر صحائف الأعمال الصالحة والطالحة على حدٍ سواء. وفوراً يأخذ كل إنسان ما يستحقه من ثواب أو عقاب، وتظهر للعيان وديان جهنم الملتهبة بالنيران مقابلة لعلّيات الفردوس الأعلى الممتلئ بما يبهج النفس ويسرّ الفؤاد.

ويخاطب اللّه ذو الجلال والإكرام أمم الأرض التي أقامها من الموت فيقول:

أنا اللّه الذي لا إله إلا هو، الذي كفرتم به. لقد رفضتم شريعتي وعصيتم أوامري. فها هي ذي جنتي وسعادتها وتلك ناري وشقاؤها.

في ذلك اليوم ـ يوم الحساب ـ لن يكون هناك شمس أو قمر، ولا نجوم ولاغيوم. لابرق ولا رعد. لارياح ولا ماء. لاصباح ولا مساء. لاصيف ولاشتاء. لاربيع ولا خريف. لا حرّ ولا قرّ. لا بَرَدَ ولا مطر ولاندى. لاشروق ولاغروب. لاظهر ولا عصر.

في ذلك اليوم يغمر نور اللّه الهادي المؤمنين.ولسوف يستغرق يوم القيامة سبع سنين. وختم الملاك قوله: كشفت لك وحدك يا عزرا عن الترتيبات التي أعدت ليوم القيامة.

٣ ـ ٦. عقاب العصاة الآثمين.

قلت للملاك مكرراً ما كنت قد قلته في وقت سابق: كم هم سعداء أولئك الذين يطيعون أوامر الرب! ولكن ما هو مصير أولئك المذنبين العاصين الذين

أصلي من أجلهم؟ وأدعوك يا رب لكي تغفر لهم خطاياهم. لقد وضح لديَّ أن الذين يستحقون الحياة الأبدية هم الصالحون وعددهم قليل بين الناس. أما أولئك الذين يستحقون العذاب فهم كثرة كثيرة، ذلك أن الشرّ نما في النفس الإنسانية وتمكن منها. وها هو ذا يقودها بعيداً عن طرق الحق حيث الهلاك والدمار، إلى الموت الزؤام. لقد سقط في هاوية الإثم أكثر الناس الذين خلقوا حتى الآن.

قال الملاك: أنصت إليَّ، وأنا سوف أزيدك علماً ومعرفة، وأصحح لك المفاهيم الخاطئة التي تحملها. بما أن عدد الأشخاص الصالحين محدود وقليل وعدد أولئك الخاطئين كبير جداً، لذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى خلق عالمين بدلاً من عالم واحد، هذان العالمان هما عالم الدنيا وعالم الآخرة. ولكن ألا ترى معي أنه لايجوز إضافة قطع الرصاص والخزف إلى قطع الجواهر النفيسة بقصد زيادة العدد. بالطبع لاأحد يفعل ذلك. وإليك إيضاح آخر: إن الأرض تحتوي على طين كثير ومعادن قليلة. الذهب الثمين هو أندر المعادن وجوداً ثم يليه الفضة ثم النحاس فالحديد فالرصاص. أما الطين فلا قيمة له. ولك أن تحكم أيها أغلى وأثمن، الأشياء القليلة النادرة والمفقودة تقريباً أم الأشياء المتوفرة بكثرة؟.

أجبت: من الطبيعي أن تكون الأشياء المتوفرة بكثرة رخيصة الثمن. أما الأشياء النادرة فهي أغلى قيمة وأعلى ثمناً.

قال: يمكنك أن تنهج على نفس المنوال وتقرر أن ملكية الأشياء النادرة أدعى للسعادة من ملكية الأشياء المتوفرة لدى كل إنسان وفي كل مكان. لذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى يُسرّ بنجاة القلة الصالحة من الناس الذين قضوا حياتهم في أعمال البرّ والعبادة وجاهدوا لنشر كلمات اللّه بين الأمم والشعوب. كذلك فإن اللّه لن يحزن أو يأسف على مصير أولئك العديدين الذين أضاعوا حياتهم هباءً منثوراً، اختفوا كماءٍ تبخر ولم يعد له وجود، كمادة احترقت توهجت ثم خبت سريعاً.

٤ ـ ٦. نداء إلى أمّنا الأرض.

بعد ذلك توجهت بحديثي نحو أمّنا الأرض التي خرجنا منها.

انتبهي لما تفعلين، فعندما أعطيت أصولاً ومبادئ لنمو وتكاثر باقي المخلوقات، أعطيت أيضاً مبادئ وأصولاً للاستنتاج ومعرفة الأسباب والمسببات. ويا ليتك لم تفعلي ذلك، لأن قوة الاستنتاج عندنا نحن البشر تزداد باضطراد مع نمونا. وهذا ما يدخل العذاب والفزع إلى نفوسنا لأن استنتاجاتنا توصلنا إلى أن مصيرنا الحتمي هو الموت، إن عاجلاً أو آجلاً. وبالمقارنة بيننا نحن الذين نفكر ونحمل الأسى وبين تلك المخلوقات العجماء التي لاتعقل ولا تشعر بشيء نرى أن حالها أفضل من حالنا. فهم لاينتظرون أن يقدموا حساباً عن أعمالهم. وهم لايغتمّون لعذاب منتظر ولايفرحون لثواب مرتقب بعد الموت. ماذا يغنينا أننا نعود للحياة مرة أخرى وهل نضمن أن يكون مصيرنا إلى الجنة؟ إن النار والعذاب والألم في جهنم ينتظرنا. فكل مولود سيقع حتماً في حبائل الإثم، وسيمتلئ بالشرور. سيثقل بالذنوب، لذلك أرى أنه من الأفضل لنا لو أننا لا نواجه أي حساب بعد الموت فيكون لالنا ولاعلينا.

قال الملاك: إن الله خلق العالم، وخلق آدم وذريته وهيأ الجميع ليوم الحساب. كان عليك أن تعرف هذا من العالم المحيط بك. أنت تقول إنّ استنتاجاتك تكبر معك وهذا هو بيت القصيد. الناس في هذا العالم يستخدمون عقولهم ولكنهم يذنبون.

أنزل الله إليهم أوامر وتعاليم ولكنهم لم يحفظوها. قبلوا شريعة الله. ولكن لم يطبقوها، لذلك فقد حق عليهم العذاب.

بأي سبب يمكن أن يعتذروا يوم القيامة؟.

ما هو ردهم عند السؤال يوم الحساب؟.

لقد صبر الله كثيراً على أولئك المذنبين ولمدة طويلة ولكن لم يكن ذلك من أجلهم بل من أجل ذلك اليوم القادم.

الفصل السابع

حيـاة البرزخ

١ ـ ٧. مستقر أرواح المذنبين.

قلت للملاك: هل لـي يا سيدي أن أسأل عما يحدث للروح بعد مفارقة الجسد بسبب الموت؟ هل سنبقى في نومة هادئة هانئة حتى يأتي اليوم القادم الذي يُخلق فيه عالم الآخرة الجديد، أو أننا سنلاقي العذاب فور موتنا؟.

قال الملاك: سأجيب عن سؤالك فوراً، ولكن أرجو أن لاتعتبر نفسك من ضمن أولئك الذين سيلاقون العذاب بعد الموت، ذلك لأنهم لم يستفيدوا من الدين التعاليم التي أنزلها اللّه لهم. أما أنت فقد ادّخرت لنفسك كنزاً عند اللّه بسبب أعمالك الصالحة وسترى ذلك في اليوم الآخر. وأجيبك عن سؤالك عما سيحدث للروح بعد الموت بما يلي:

عندما يستوفي الإنسان أجله المحتوم يحكم اللّه عليه بالموت، وتلبي الروح نداء بارئها وتغادر الجسد إلى العالم الذي جاءت منه وهي تسبِّح اللّه وتحمده. ولكن دعني أولاً أبين لك مصير أرواح أولئك الأشخاص السيئين الذين لم يسيروا على النهج القويم الذي رسمه اللّه لهم، وأظهروا العداء والكراهية لمن كان صالحاً يعبد اللّه ويتقيه. أولئك لامستقر لأرواحهم ولامكان معين لها. بل هي دائماً تائهة شاردة حزينة تشعر بالعذاب، بالحسرة والندامة، وعذابها يتوالى على سبع مراحل.

أولاً: شعور بالندم قاتل، ذلك لتجاهلهم وابتعادهم عن شريعة اللّه تعالى.

ثانيا: ألم شديد، ذلك لعدم تمكنهم من العودة إلى الحياة الدنيا. وتبديل أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة.

ثالثاً: الحسرة عندما يرون ما ادخره اللّه لعباده الصالحين من الثواب الذي وعدهم إياه.

رابعاً: الجزع من العذاب المعدّ لهم في الآخرة.

خامساً: الضياع وهم يرون الملائكة تحرس المنازل التي تضم أرواح المؤمنين. لتبقى في هدوء تام وسكينة.

سادساً: اليقين بأنهم عما قريب سيذوقون أشدّ العذاب.

سابعاً: وتلك أسوأ الجميع، وذلك عندما يرون اللّه وهو عليهم غضبان.

عند ذلك يشعرون بالدوار والغثيان، بالخزي والعار. عند ذلك يصرخون برعب عظيم لأنهم أخطأوا تجاه اللّه في حياتهم الدنيا. والآن هم واقفون أمامه ليقاضيهم يوم الدينونة.

٢ ـ ٧. مستقر أرواح المؤمنين.

والآن لأوضح لك ما سيحل بالأرواح التي تغادر أجساد المؤمنين بعد موتهم.

لقد سلكوا أثناء حياتهم المنهاج الذي رسمه اللّه لهم رغم أنهم تعرضوا لصعوبات وأخطار عديدة، فإنهم عبدوا اللّه بإخلاص وحافظوا على الشريعة التي جاء بها رسل اللّه. ستغمرهم البهجة والسرور العارم عندما يرون مجد اللّه العظيم. سيقبلهم اللّه وسينالون الراحة الأبدية. سيفرحون من خلال سبع مراحل.

أولاً: لأنهم جاهدوا ضد شهواتهم وانتصروا على دوافع الشر الكامنة في نفوسهم، تلك الدوافع الشريرة التي لم تفلح في جرّهم إلى الهلاك الأبدي.

ثانياً: لأنهم يرون دوام تحّير وضياع أرواح الأشخاص السيئين. ويطّلعون على العذاب الذي ينتظر أولئك المذنبين في الآخرة.

ثالثاً: لأنهم يسمعون تزكية الله لهم ومدحه إياهم بسبب الأعمال التي قاموا بها أثناء حياتهم.

رابعاً: لأنهم يدركون الراحة والاستقرار التامين اللّذين يتمتعون بهما في أماكن تجمعهم حيث تحرسهم الملائكة وينتظرون المجد والخلود في الآخرة.

خامساً: لأنهم يسرّون بخلاصهم من العالم الفاسد الفاني ويفرحون بالعالم الجديد القادم. وهم يرون العالم السابق الضيق الذي كانوا فيه، والعالم الرحب الواسع الذي ينتظرهم ليعيشوا فيه بفرح إلى الأبد.

سادساً: ستشرق وجوههم كالشمس وتضيء كالنجوم الزاهرة.

سابعاً: وذلك هو الفرح الأعظم والسرور الأكبر، إذ يسرعون إلى لقاء الله وجهاً لوجه. بثقة وفرح كاملين دون خوف أو خجل لأنهم عبدوا الله حقاً في الحياة الدنيا، واليوم ينتظرون ثواب أعمالهم الذي أعده الله لهم.

بعد ذلك سألت الملاك: هل تترك أرواح الصالحين بعد الموت حرة طليقة لكي ترى ما أعد الله لها وما قد وصفته آنفاً؟. أجاب الملاك: تترك الأرواح حرة مدة سبعة أيام بعد الموت لكي ترى الأشياء التي أخبرتك عنها، بعد ذلك تجتمع الأرواح في مكان واحد يدعى منزل الأرواح.

٣ ـ ٧. الشفاعة.

سألت الملاك: هل يؤذن للرجال الصالحين بالشفاعة للرجال الطالحين يوم القيامة؟.

هل تقبل صلاة الآباء شفاعة لأبنائهم؟ هل يشفع الأبناء لآبائهم، والإخوة لإخوتهم، والأقارب لأبناء عشيرتهم والأصدقاء لأصدقائهم المقربين؟.

أجاب الملاك: يكون الحكم يوم القيامة نهائياً ويصدر القرار النهائي الصادق ليراه الجميع. وكما هو معروف في هذه الدنيا فإن الأب لايستطيع صرف الألم عن نفسه بإمراض ابنه، وكذلك بالنسبة للنوم والأكل أو الشفاء من المرض. وأي

شخص لايستطيع إرسال عبده أو صديقه لينوب عنه في المرض أو الشفاء أو الأكل والشرب. وكذلك يوم القيامة لا أحد يشفع لغيره، وكل إنسان سيتلقى العقوبة أو المكافأة حسب عمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قلت: إذا كان الأمر كذلك فكيف نفسّر ما قرأناه في الكتب المقدسة من أن إبراهيم صلى من أجل إنقاذ شعب سدوم (قوم لوط) من الهلاك، وأن موسى صلى من أجل أجدادنا الذين أذنبوا في الصحراء، وأن هوشع صلى من أجل بني إسرائيل أيام عوكان، وأن صاموئيل صلى من أجلهم أيام شاؤول (طالوت)، وأن داوود صلى ليصرف اللّه البلاء والوباء عن بني إسرائيل، وأن سليمان صلى من أجل أولئك الذين ذهبوا للعبادة في الهيكل، وأن إلياس صلى لكي ينزل المطر على الشعب ولكي يعود إلى الحياة أحد الأشخاص (ابن الأرملة)، وأن حزقيال صلى من أجل الشعب أيام سنحريب. كما يوجد أمثلة أخرى كثيرة. فإذا صلى الصالحون من أجل إنقاذ الطالحين أيام الشدة والفساد فلماذا لا يكون كذلك يوم الحساب؟.



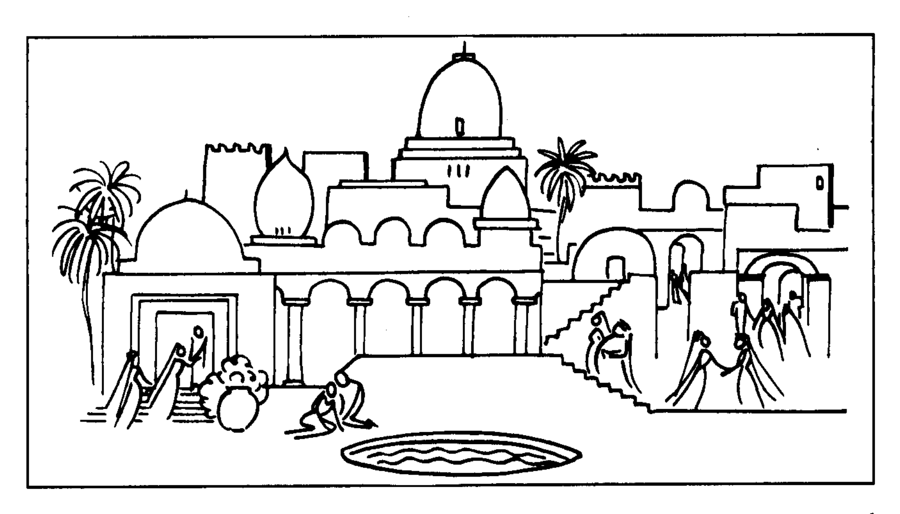
أجاب الملاك: إن العصر الحاضر هو مرحلة تمهيدية وليس نهاية لكل شيء، حتى إن مجد اللّه العظيم لايظهر في كل وقت في هذه الدنيا، لذلك فإن الصالحين يصلون ويتضرعون من أجل الخاطئين في هذه الدنيا. ولكن في يوم القيامة تنتهي أيام الدنيا وتبدأ أيام الآخرة. عند ذلك يزول كل فساد، ويتوقف إطلاق العنان للشهوات، وينتهي الغدر. أما المؤمنون الصالحون فيصلون إلى

النضج وغاية الكمال. وعليه ففي يوم الحساب لايطلب أحدٌ الرحمة لأولئك الذين أدينوا، ولا أحد يستطيع إلحاق الأذى بأولئك الذين قبلهم اللّه.

٤ ـ ٧. آه يا آدم ماذا فعلت.

قلت للملاك: كنتُ قد ذكرتُ سابقاً أنه يا ليت أن الأرض لم تنبت آدم وأولاده، أو أنها صنعته بحيث يكون غير قادر على ارتكاب الإثم. ما جدوى الحياة الحاضرة المليئة بالمآسي وكل ما نأمله بعد الموت هو العقوبة؟. آه يا آدم ماذا فعلت؟ إن خطيئتك لم تكن سقوطاً لك فقط بل كانت سقوطاً لجميع أحفادك. ما جدوى أن نتمنى الخلود ونحن نرتكب الآثام التي تقودنا إلى الهلاك الأبدي؟ ما جدوى الحياة الأبدية ونحن نرى أنفسنا في هذا الوضع البائس؟ ما جدوى المنازل والقصور الحصينة المعدة لنا في الآخرة، إذا كنّا نتصرف مثل الكفار والمنافقين؟ ما فائدة وعد اللّه حماية عباده المؤمنين الذين عاشوا حياة نقية، إذا كنّا نحن غارقين في الذنوب والآثام؟.

ما فائدة وصف الجنة ونعيمها وشجرة الخلد ذات الثمار التي تشفي أمراضنا وتزودنا بجميع ما نحتاج إليه، إذا كان مقدراً علينا أن لانذهب إلى الجنة أبداً ذلك لأن طريقة حياتنا لاترضي اللّه؟ وما فائدة أن وجوه أولئك الذين قاوموا أهواءهم ولم ينساقوا وراء شهواتهم تضيء أكثر من النجوم، إذا كانت وجوهنا أسود من الليل؟ إننا لم نفكر عند ارتكابنا للإثم فيما يمكن أن يحل بنا من عقوبة وما سنعاني من ألم بعد الموت.



أجاب الملاك: هنا يكمن الصراع الذي يجب أن يعاني منه كل إنسان وجد على سطح الأرض. فإذا هُزم هذا الإنسان فإنه سوف يعاني من الأشياء التي ذكرته سابقاً. أما إذا انتصر على نزعاته الشريرة فسوف يكافأ بالثواب الذي ذكرته سابقاً. قلت: لذلك ترى أن موسى قد أوصى قومه بإلحاح لكي يختاروا الحياة الباقية على الحياة الفانية. ولكنهم لم يؤمنوا به، ولا بالأنبياء الذين جاءوا من بعده. والآن هم لم يؤمنوا بي أيضاً، ولم يصدقوني، لذلك فإن الحزن القليل على دمار هؤلاء الكافرين لايقارن مع الفرح العظيم والسعادة الكبرى بنجاة المؤمنين الصادقين.

٥ ـ ٧. رحمة اللّه واسعة.

قلت: إنه عزّ وجلّ تكلم عن الرحمة. وإن رحمته واسعة تشمل حتى أولئك الذين لم يأتوا ولكنهم على وشك المجيء إلى هذا العالم. وقد وصف اللّه سبحانه وتعالى نفسه بالحليم، لأنه يعفو عن المذنبين الذين يرجعون إلى الصراط المستقيم، وهو الصبور لأنه يمهل مخلوقاته التي تخطئ وترتكب الإثم، وهو الكريم لأنه يعطي ولايأخذ. وهو الغفور لأنه يغفر ذنوب الخاطئين الماضية والحاضرة والمستقبلية. ولولا مغفرته الدائمة والمستمرة لما بقي على وجه الأرض إنسان. وهو الذي يقبل الاعتذار، ولو أنه لم يقبل المعذرة والاستغفار من المذنبين لما بقي من كل عشرة

آلاف شخص شخص واحد يستحق الحياة. وهو اللطيف الخبير لأنه يغفر ذنوب أولئك الذين خلقهم بكلمة واحدة. ولو لم يفعل ذلك لما بقي من الجنس البشري في العالم أكثر من حفنة من الأشخاص يعدون على الأصابع.

أجاب الملاك: إن الله خلق لهذا العالم أشخاصا كثيرين. أما في العالم الآخر فإن الذين يستحقون الثواب فهم قليلوا العدد. وهذه النسبة تشبه النسبة بين التراب الموجود على الأرض والتبر المبعثر فيها. وهذا ينطبق على الحال الحاضر إذ المخلوقون كثيرون ولكن الناجين قليلون.

الفصل الثامن

تمنيات عـزرا

١ ـ ٨. رجاء عزرا.

قلت لنفسي: علـيَّ أن أجعـل الحكمـة ضـالتي المنشـودة. علـيَّ أن أحـاول أن أفهم. لقد خلقت وجئت إلى هذه الدنيا دون موافقتي. ولسوف أرحـل عنهـا ضـدّ إرادتي. لقد وهبني اللّه فسحة محدودة من السنين كي أعيش أثناءها على الأرض.

بعد ذلك بدأت بالصلاة متضرعاً. قلت: هل يقبـل الإلـه الرحيـم سـماع رجـاء عبده الخاضع له. يا رب ازرع في قلب كل إنسـان شـرير بـذرة خـير تحيـي بهـا ضميره، وتجدد له بها قلبه وعقله، لكي يستحق الحياة الأبدية السعيدة. فأنت إلهنا وخالقنا القادر على كل شيء. ألم تذكر فـي الكتـاب أنـك واهـب الحيـاة، خـالق أيدي وأرجل الأجنّة في أرحام الأمهات، وأنك حافظ لتلك الأجنة بأمان بعيداً عن كل خطر داخل الرحم بين عنصريّ الماء والنار لمدة تسعة أشـهر. وعندمـا يلفـظ الرحم ما فيه فإنك تأمر صدر الأم فينتج الحليب المغـذي للطفـل. ويعيـش الطفـل على حليب أمه حتى يبلغ الفطام وعنايتك الرحيمة تحوطه من كل جانب. وعندما تقدر له أنه سيكون من الصالحين فـإنك تعلمـه الكتـاب وتؤدبـه بحكمتـك. أنـت خالقه تفعل به ماتشاء. بيدك حياته وبيدك مماته. كم هو هين عليك تدمير العصـاة من بني الإنسان الذين خلقتهم بأمرٍ منك واعتنيت بهم وحفظتهم.

إذاً لماذا خلقتهم أصلاً؟.

والآن لا أستطيع أن أحبس ما في صدري وعليّ أن أقول ما يلي:

سيدي وإِلهي. أنت تعلم ما هو الأفضل لبقاء البشرية ولكني متوجع وحزين من أجل شعبك. أنا مضطرب من أجل أمة اليهود أحفاد يعقوب. لذلك أريد أن أصلي من أجلهم ومن أجل نفسي. ذلك أني أرى مدى السقوط والفشل الذي منينا به نحن البشر الذين نعيش على وجه الأرض، أعرف أيضاً أن يوم الحساب قريب، لذلك أرجوك أن تستمع لدعائي.

٢ ـ ٨. صلاة عزرا.

وصلاة عزرا التي صلاها قبل أن يصعد إلى السموات كانت كما يلي: إِلهي ومولاي أنت الأبدي الأبد. مالك الجنات العُلى وعرشك المجيد الرائع أجمل من أي شيء آخر نستطيع تصوره. وعزّتك هي فوق إدراكنا وتصورنا. وجميع الملائكة وباقي جنودك السماويين تُسبِّح بحمدك وتنتظر أوامرك لكي تنفذها فوراً. لامبدل لكلماتك فهي ثابتة وأزلية. وبأمرك النافذ تتم أشياء عظيمة. وإِن نظرة غضب منك تجفف المحيطات العميقة وتذيب الجبال الشاهقة. وحقيقتك تدوم إِلى الأبد.

إِلهي أنت خلقتني وأنا عبدك لذلك استمع إلى صلاتي. ما دمت حياً وما دمت أفهم فإِني لا أستطيع أن أبقى ساكتاً. لاتحصِ خطايا شعبك، وانظر بعين العطف والرضا إِلى عبيدك الذين يخدمونك بصدق. لا تهتم بأولئك الذين لا إِله لهم، ولاتَزِنْ لهم عملاً. ولكن انظر بعين العطف والرعاية إلى أولئك الذين يحافظون على عهودك على الرغم من جميع الآلام والمشاق التي يتعرضون لها، ويعانون منها. ولاتلتفت إِلى أولئك المنافقين. ولكن تذكر أولئك الذين يؤمنون بك ويفخرون بأنك إِلههم. لا تحطم شعبك بسبب أولئك الذين يحفظون قانونك ويعتبرونه شيئاً مدهشاً وعظيماً. لاتغضب من أولئك الذين تعتبرهم أضلّ من الأنعام. أظهر محبتك لأولئك الذين يؤمنون بك وبمجدك العظيم وحضورك الدائم.

صحيح أننا وآباءنا عشنا الحياة بطريقة نستحق عليها الموت ولكن بسبب غفرانك لآثامنا دعيت باسم الرحيم. وبالتأكيد سوف تدعى باسمك الرحيم إِذ

إنك تعطفت علينا نحن المذنبين. نحن مدانون، ولا عمل صالح لنا ولا رصيد حسن مخبوء لنا عندك. لسنا مثل عبادك الصالحين حقاً الذين سينالون مكافآتهم على أساس الأعمال الصالحة التي عملوها وادخروها عندك.

من ذاك الإنسان اللدود الذي ستعاديه؟ من ذاك الإنسان الشقي الذي ستغضب عليه؟.

وشهادة صادقة فإنه لايوجد إنسان ولد ولم يأثم. ولايوجد إنسان عاش إلا وقد أذنب.

لذلك يا إلهي اغفر ذنوب العاصين وأظهر رحمتك لأولئك الذين لارصيد لهم ولاكنز مخبوء لهم عندك. حتى يعلم الصالحون والطالحون أنك ذو الفضل العظيم.

٣ ـ ٨. عناية اللّه بالصالحين.

أجابني الملاك: إن اللّه يقول: إن بعض كلامك صحيح وكثير من الأشياء ستحدث كما ذكرت. وثق يا عزرا بأني لا أهتم بمصير الكافرين العاصين ولا ألتفت إلى ما يُجري عليهم القضاء من أقدار ولا ما يحدث لهم من مصائب، كالموت والدمار. أما المؤمنون الصالحون فإني ألحظهم دائماً بعنايتي، وأنا أسدد خطاهم أثناء رحلتهم في الحياة الدنيا واستبشر بانعتاقهم من الدنيا لاستلام جوائزهم ومكافآتهم. إن الأمور ستجري بالضبط كما يجري في المثل الذي أسوقه: إن المزارع يلقي في الأرض بذورها ولكن هل جميع البذور الملقاة تثبت في الأرض جذورها وتظهر على وجه الأرض في الوقت المناسب؟ وهذا ما يجري في الحياة فليس لكل إنسان خلق نجاة في الآخرة.

قلت: سيدي. هل تسمح لي بالتعبير عن آرائي بحرية تامة. إن بذور المزارع قد لاتنبت، ذلك أنك لا ترسل لها المطر في الوقت المناسب، حين تحتاج البذور للماء، أو يمكن أن يكون مطر السماء غزيراً فيغرق الزرع وتتعفن البذور والجذور. ولكن الناس يختلفون عن ذلك فأنت خلقتهم بيديك، خلقتهم ليتشبهوا بك، وخلقت كل شيء من أجلهم، ليربحوا ويستفيدوا. فكيف تقارن بينهم وبين بذور الفلاح؟ إن

هذا مستحيل. آه يا إلهي اعزل شعبك عن باقي النـاس. اعطـف عليهـم. أظهـر رحمتك للناس الذين خلقتهم.

أجاب الملاك: إن الحاضر هو قدر الذين يعيشون الآن، وإن المستقبل هو ملك الذين سيأتون. وأنتَ يا عزرا لايمكن أن تحب الناس الذين خلقهم اللّه أكـثر ممـا يحبهم خالقهم.

إن المتكبرين في الأرض بغير الحق، الفخوريـن بمـا عندهـم مـن متـاع الدنيـا، المتعجرفين الذين ينظرون إلى الآخرين نظرة ازدراء سوف يعانون من أشياء فظيعـة في اليوم الآخر.

أما الصالحون أمثالك فهم يفكرون بالمجد الـذي ينتظرهـم. لقـد فتحـت لكـم الجنة أبوابها، وها إن شجرة الحياة الأبدية قد زُرعـت وإن العـالم الآخـر قـد أعـدّ لاستقبالكم وفيه جميع احتياجاتكم. إن مدن الجنة قد تزينـت والراحـة التامـة مـن الأعمال والأشغال في انتظاركم.

٤ ـ ٨. كنوز الخلود الأبدي.

لقد اكتمل الصلاح والحكمة عند أولئك الذين استحقوا دخول الجنة. أما الشر والفساد فقد اقتلعا من جذورهما ولم يعـد لهمـا وجـود. زالـت الأمـراض والآلام، وابتعد الموت ورُمي به في الجحيم. أما الفساد والتعفـن الأخلاقـي والرشـوة فقـد اختفوا جميعاً، وظهرت أخيراً كنوز الخلود الأبدي.

لذلك لاتسأل أسئلة أخرى تتعلق بالناس الكثيرين الذين ضلوا السبيل، وضـاعوا في المتاهات ومصيرهم إلى الجحيم؛ ذلك لأنهم أُعطوا فرصة ليختاروا فاسـتخفوا بأحكام اللّه العلي الكبير، وازدروا شريعته ورفضوا السلوك في الطريق الذي رسمه اللّه لهم. بالإضافة إلى ذلك فإنهم أساءوا معاملة عباد اللّـه الصـالحين، وقـالوا فـي أنفسهم لايوجد إله على الرغم من أنهم كانوا يعلمون أن الموت بانتظارهم، لذلك فإن السعادة هي بانتظار المؤمنين بينما العذاب مخزون للكافرين.

إن الله لايريد الفناء لأحد. خلق الجميع وهيأ لهم الحياة الرغيدة. ولكن هؤلاء المخلوقين التعسين لم يمجدوا ويعظموا اسم خالقهم، ولم يكونوا ممتنين من الذي وهبهم الحياة، لهذا فإن اليوم الذي سأحاسبهم فيه قريب. لقد جعلت هذا الأمر معلوماً لك ولأمثالك بينما الآخرون غافلون عنه.

٥ ـ ٨. بداية الأحداث قبل القيامة.

قلت للملاك: سيدي. لقد أريتني عدداً من الأحداث التي سوف تجري في الأيام المقبلة حتى نصل إلى يوم القيامة، ولكن لم تخبرني متى ستتم هذه الأحداث.

قال: انتبه جيداً للأحداث التي سوف أذكرها لك. فإذا ما ظهرت تعلم أن الوقت قد حان وأن ساعة الحساب قد دنت.

سيكون هناك زلازل مدمرة.

سيكون هناك فوضى عالمية وقلاقل واضطرابات شعبية شاملة.

سيكون هناك حكام ضعاف غير مستقرين في الحكم لمدة طويلة.

أما القوانين فسوف تكون مضطربة وغير عادلة.

وعندما ترى هذه الأحداث تعلم أن هذا ما تحدث عنه الله العلي القدير منذ بدء الخليقة. والآن كل الأحداث منذ بداية الخليقة حتى نهاية العالم أصبحت واضحة تماماً.

بدأت الدنيا بالعجائب والمعجزات وسوف تنتهي الدنيا بالأحداث العظيمة الهائلة الجسام.

قليل من الناس سينجون وذلك بسبب أعمالهم الصالحة أو بسبب إيمانهم. وسيعيش أولئك المعتوقون من النار معاً في جنة الخلد التي خلقها الله خصيصاً لهم ومن أجلهم. أما أولئك الذين تجاهلوا شريعتي وعاملوها باحتقار فسوف يندهشون عندما يجدون أنفسهم في عذاب دائم لاينتهي. وهذا العقاب يشمل كل أولئك الذين تجاهلوني أثناء حياتهم. رغم أنهم تمتعوا في حياتهم بالبركات والخيرات التي منحتهم إياها. وسيصيب العذاب أولئك الذين احتقروا شريعتي وابتعدوا عنها أثناء حياتهم حيث كانوا أحراراً يفعلون ما يشاؤون. كما أن العذاب

سيكون من نصيب أولئك الذين رفضوا التوبة والندم على ما أسلفت أيديهم من مخاز. لقد كان لديهم فرصة ليتوبوا ولكنهم أصرّوا على كفرهم وعنادهم. والعذاب الذي سيعانونه بعد الموت سوف يجبرهم على التسليم والإيمان.

لذلك عليك يا عزرا التوقف عن الكلام والسؤال عن المنافقين والكافرين وكيف سيعاقبون. كان الأفضل لو صرفت اهتمامك للسؤال عن نجاة الصالحين فإن العالم قد خلق من أجلهم وهو يخصهم وحدهم.

٦ ـ ٨. الأسباب والنتائج.

رددت ما كنت قد قلته سابقاً وأنا متعجب. إن عدد الهالكين يفوق بأضعاف كثيرة عدد الناجين. إن ذلك يشبه موجة عظيمة في بحر مقابل قطرة ماء واحدة.

رد الملاك قائلاً: إن اللّه يقول: إن نوع البذور التي تزرع يجب أن تلائم التربة، وإن لون الأزهار يعتمد على نوع النبات المزروع، وإن نوعية الإنتاج تعتمد على مهارة الزارع، وإن حجم النبات المنتج يعتمد على مقدار تعب الفلاح. وكل نتيجة تعتمد على ما أعدّ لها من أسباب. قبل أن أخلق الإنسان كانت الطبيعة كلها تسير وفق قانوني. لا أحد يعارض، ولا أحد يخالف.



عندما خلقت العالم أمددته بوفير الغذاء وزودته بـالقوانين والأنظمـة التـي تكفـل لـه النماء. ولكن الإنسان الذي خلقته تمرد على قانوني وعاث فـي الأرض فسـاداً. عندمـا رأيت هذا قررت إنقاذ القلة الصالحة من البشر. اخترت عائلة واحدة من قبيلة ولـم يعـد يهمني أن يهلك أو يفنـى البـاقون، أولئـك الذيـن ولـدوا للضيـاع. أمـا شـعبي المختـار فليحفظ في سلام. إنهم الأشخاص الذين توليتهم ليكونـوا بشـراً خـالين مـن العيـوب. والآن عليك يا عزرا أن تنتظر مدة سبعة أيام أخـرى، ولكـن بـدون صيـام. اذهـب إلـى حقل بكر لم تعمل فيه يد إنسان، حقل بعيد عن العمران، حقل فيه زهور برية. لاتأكل سوى من تلـك الزهـور. لاتـأكل لحمـاً ولا تشـرب خمـراً. اقـض وقتـك فـي العبـادة والصلاة والابتهال إلى الله تعالى، وبعدها سأعود لأكلمك ثانية.

الفصل التاسع

المدينة المقدسة الجديدة

١ ـ ٩. البذور الجيدة والأرض الخبيثة.

أطعت أوامر الملاك وانطلقت إلى حقل بكر يدعى ـ أرادات ـ وجلست هناك بين الزهور والنباتات البريّة، وكان هذا طعاماً كافياً لي.

بعد مضي سبعة أيام وأنا مواظب على الصلاة وذكر اللّه بدأت الخواطر تتوارد عليّ، وانتابني القلق والاضطراب. استلقيت على العشب وبدأت أناجي ربي وأقول:

سيدي ومولاي: لقد أظهرت ذاتك القدوس العلية لأجدادنا الذين عبروا صحراء موحشة لادروب فيها ولا علامات. كان ذلك بعد هروبهم من مصر، وقلت لهم: استمعوا إليَّ يا أبناء إسرائيل. سوف أعطيكم شريعتي وهي تشبه حبة تزرع في داخلكم تنتج لكم الثمار اليانعة وسوف تنتج لكم مجداً وعزاً يكلّلكم بالفخار إلى الأبد.

استلم آباؤنا الشريعة ولكنهم لم يطيعوا أوامرها فكانت وبالاً عليهم. دمرتهم أهلكتهم، وذلك لأنهم لم يحفظوا البذار الجيد الذي زرع فيهم.

أما الشريعة فقد بقيت بيضاء نقية، ذلك لأنها من صنعك. وعلى عكس القاعدة المعروفة التي تقول إن الوعاء يبقى سليماً بعد تلف أو إفراغ محتوياته، مثل تلف

الحبة في الأرض أو غرق السفينة في البحر فإن الشريعة التي غرست فينا بقيت سليمة ودُمرنا نحن بسبب ذنوبنا وآثامنا. وستبقى الشريعة في مجدها الزاهي.

٢ - ٩. المرأة الباكية.

بينما كنت أناجي ربي بمثل هذا الحديث، نظرت حولي فرأيت امرأة واقفة عن يميني وهي تنتحب وتبكي. كانت ثيابها ممزقة ورماد وسخ يغطي رأسها. بعث منظرها الأسى في نفسي ونسيت ما كان يجول في خاطري من مناجاة، والتفت إليها وسألتها: ما الخطب؟ لماذا تبكين وتولولين؟ لماذا أنت حزينة وشاردة؟ أجابت عفوك سيدي. اتركني لوحدي اجترّ همومي وأحزاني، دعني في عويلي ونشيجي. لقد قاسيت المرّ والهوانَ.

أنا امرأة ثكلى، وحيدة ومنبوذة. لقد تزوجت لمدة ثلاثين عاماً لم أرزق خلالها بطفل يبهج نفسي. وأثناء هذه الثلاثين عاماً كنت أصلي كل يومٍ وكل ساعة في الليل والنهار إلى اللّه العلي القدير كي يرزقني طفلاً. وبعد ثلاثينَ عاماً استجاب اللّه دعائي. لقد رأى ما أعاني وأكابد. مسح أحزاني وأعطاني ولداً ملأ حياتي فرحاً وسروراً، وكان مصدر سعادة لي ولزوجي ولجميع جيراننا. كنا دائماً نسبح اللّه ونمجده.

ترعرع الولد في أحضاني، وأنا أحوطه بكل أنواع الحماية والرعاية. وعندما أصبح شاباً يافعاً اخترت له زوجة وبدأنا نستعد للعرس. وفي ليلة الزفاف سقط ولدي في غرفة العرس ميتاً، لذلك أطفأنا جميع مشاعل الفرح، وجاء جميع الجيران

لتعزيتي. وتمالكت نفسي حتى انقضى اليوم الثاني من أيام التعزية. وعندما غادر الجميع همت على وجهي أخبط على غير هدى حتى رأيتني أنت في هذا الحقل. وقد قررت أن لا أعود أبداً إلى تلك المدينة، وعزمت على البقاء هنا في هذا المكان في حزن دائم وتفجع متواصل عازمة على أن لا آكل ولا أشرب حتى أموت.

٣ ـ ٩. مواساة المرأة الباكية.

بعد سماع قصة المرأة التفتّ إليها قائلاً بحدةٍ: أنت أكثر النساء اللاتي شاهدتهن حمقاً وأنانية. ألا ترين ما يعانيه شعبنا؟ ألا تعلمين ما كان قد جرى علينا؟. القدس أمنا جميعاً قهرت غزيت، احترقت وتجللت بالخزي والعار. كان عليك أن تندبيها وتشاركي شعبنا في أحزانه. إنك تندبين شخصاً واحداً لأنه ابنك. اسألي الأرض التي خرجنا منها، وهي تخبرك أن الشيء الوحيد الذي يستحق الندب والتفجع هو العديد من الناس الذين أتت بهم إلى الدنيا. وكلنا نحن الأحياء أتينا أصلاً منها فهي منبتنا. وهناك آخرون عديدون سيأتون منها بعدنا. وسيكون مصير العديد من هؤلاء



الناس مباشرة إلى جهنم وساءت مصيراً. إنهم في ضياع وإلى ضياع. أليست الأرض أحقّ بالبكاء والندب منك على أولادها العديدين الذين خسروا أنفسهم وباؤوا بالمصير المحزن؟. أنا أعرف بماذا تفكرين. أنت تظنين أن مصابك أسوأ من مصاب الأرض. أنت تعتقدين أنه من الطبيعي أن تنجب الأرض أبناءها ثم

يكون مصيرهم الفناء. أما أنت فقد فقدت ابنك المخلوق من لحمك ودمك، الذي حملته كرهاً ووضعته كرهاً. تحملت العذاب من أجله، ولكن أقول لك إن الأرض أيضاً تعاني أثناء ولادتها للنوع الإنساني كما تعانين وتألم عليهم عند فقدهم كما تألمين، لذلك كفكفي دموعك وكوني شجاعة، واصبري على ما أصابك. وإذا كنت تقبلين قضاء اللّه وقدره في ابنك كما هو، فإنك سوف تسترجعين ابنك في اليوم الآخر، وسوف تأخذين الحمد والثناء اللذين تستحقهما الأمهات. ارجعي إلى المدينة إلى زوجك وأقربائك.

٤ ـ ٩. نتائج .الغزو البابلي.

قالت: أنا لن أعود ابداً. سأبقى هنا حتى أموت.

قلت لها: لا تصري على رأيك. انظري سوء حظ مدينة القدس. واستشعري آلامها. وعندها لن تأسفي على حالك. لقد أصبح معبدنا خراباً. لقد تهدم مذبح أضحياتنا وقرابيننا. لقد دمّر هيكل سليمان العظيم. لقد خرست المزامير وآلات الموسيقا الدينية الشجية. لقد توقف المنشدون عن ترتيل الأناشيد الدينية

لقد أطفئت الشمعة المقدسة، وانطفأ معها السرور في قلبنا.

لقد حُمل تابوت العهد والشهادة، وأصبح أسيراً في بلاد غريبة.

لقد انتهكت حرمة الوعاء المقدس.

لقد جدّف على اسم اللّه بالباطل، وكُفر به.

لقد حُقّر قادتنا وديست كرامتنا. لقد أحرق كهنتنا حتى الموت.

لقد أسر ونفي اللاويون حاملوا الشريعة المقدسة الأتقياء.

لقد انتهكت أعراضنا واغتصبت فتياتنا، وتدنست زوجاتنا.

قد أخذ شبابنا عبيداً أرقاء. سلبت حريتهم وماتت نفسيتهم.

لقد يئس جنودنا الأقوياء. وفقدوا الأمل والثقة بالنفس.

وأسوأ الجميع فإن المدينة التي كانت تقدس اللّه فقدت مجدها وعزتها وأصبحت في قبضة أعدائنا. أيتها المرأة الثكلى، ضعي أحزانك جانباً واطلبي من اللّه تعالى الرحمة وهو يمنحك الهدوء والسلام الذي يريحك من متاعبك.

وفجأة بدأ وجه المرأة يشع بنور ساطع كأنه الشمس مما أخافني وجعلني ابتعد عنها وأنا أتساءل متعجباً: ماذا حدث؟ ماذا يعني هذا؟.

٥ ـ ٩. اختفاء القدس وظهور مكة.

بعدها أطلقت المرأة صرخة مدوية عظيمة هزّت الأرض وأخافتني. وعندما أعدت النظر جهة المرأة الثكلى، وجدتها قد اختفت وظهر مكانها مدينة جميلة مبنية على أسس عظيمة.

اضطربت كثيراً.. أين أنت يا أوريل؟ لماذا أمرتني بالمجيء إلى هذا المكان؟ لقد ضعت وضاعت صلاتي. لم يعد لي أمل في شيء. وليس أمامي سوى الموت أو الجنون. كنت أتكلم مع نفسي حين ظهر الملاك أوريل أمامي. كنت ملقى على الأرض في شبه غيبوبة. أخذ أوريل بيميني وأوقفني على قدمي. وبدأ يسألني ما الخبر؟. لماذا أنت مضطرب ومشوش إلى هذا الحد؟. مم أنت خائف ترتجف؟.

قلت: لقد هجرتني لمدة طويلة، لم تبالي بي. لقد فعلت كما أمرتني، وجئت إلى هذا الحقل المنعزل، ولكني لا أستطيع شرح ما حدث لي ولا وصف ما مرّ بي.

٦ ـ ٩. تفسير الحلم.

قال الملاك: قف على رجليك يا رجل لاتفزع. أنا سوف أشرح لك كل شيء.

قلت: سيدي. من فضلك اشرح لي. فإني أكاد أموت من الإحباط والخوف والفشل لعدم قدرتي فهم شيء أو تفسير ما رأيت وما سمعت. هل خدعني عقلي؟. هل كل ما جرى مجرد حلم؟. أرجوك سيدي وضح لي معنى هذه الرؤيا.

قال الملاك: اصغِ إليَّ جيداً وأنا أشرح لك معنى الأشياء التي عاينتها وخفت منها. إن اللّه تعالى العلي القادر قد أطلعك على شيء يسير من أسراره، ذلك لأنك من عباده الصالحين، وأنك دائم الندب والحزن على شعب إسرائيل، وعلى مدينة القدس. أما معنى الرؤيا التي رأيتها فهو كما يلي:

لقد ظهرت أمامك منذ فترة قصيرة امرأة تندب وتتفجع، وعندما حاولت استطلاع خبرها للتخفيف عنها أخبرتك بموت وحيدها. وبعدها اختفت المرأة عن ناظريك، وحل مكانها مدينة كاملة.

إن المرأة تمثل مدينة القدس التي رأيتها فيما بعد كمدينة كاملة. وعندما أخبرتك المرأة أنها لم تلد مدة ثلاثين عاماً. فهذا يرمز إلى أن سليمان ابتنى الهيكل بعد بناء المدينة بثلاثة آلاف سنة[1] ، وبعد بناء الهيكل بدأت القرابين والأضاحي تقدّم على المذبح. عند ذلك أعطت المرأة زوجها ولداً. وعندما أخبرتك أنها بذلت أشدّ العناية في تنشئة الطفل فهذا يشير إلى الفترة التي ازدهرت فيها مدينة القدس. وعندما أخبرتك عن موت ولدها يوم زواجه أثناء عرسه فهذا يشير إلى خراب القدس، وهي في شبابها وعنفوانها.

وحزن المرأة وندبها يشير إلى حزن القدس بسبب بعد أولادها عنها. وعندما رأى اللّه حزنك الحقيقي على المرأة، ومواساتك الصادقة لها. فإنه أراك مجدها الكلي العظيم وسحرها الملوكي.

لقد طلبت منك أن تمكث في ذلك الحقل المنعزل ذلك أني أعلم أن اللّه يريد أن يريك هذه الأشياء، حيث لا عمران ولابناء، وكذلك فإن المدينة المقدسة الجديدة[2] التي يريد اللّه إظهارها للعالم موجودة في مكان منعزل حيث لاعمران ولا أسس بناء.

---

(١) تسرب اليهود إلى مدينة القدس العربية بعد أن بناها سكانها وسكنوها ثلاثة آلاف سنة. ثم ادعوها لأنفسهم.

(٢) تكلم القديس يوحنا في رؤياه عن قدس جديدة ووصف في هذه الرؤيا الكعبة الشريفة وحلتها البهية ـ رؤيا يوحنّا الفصلين: ٢١ و٢٢.

والآن لا تخف ولا تخش شيئاً. تقدم إلى المدينة المقدسة وانظر جمالها وبهاءها وبيوتها الملوكية. انظر ومتّع ناظريك قدر ما تستطيع فإنك ممّن جملة القليلين من أسعدهم الحظ، ذلك لأن لك عند اللّه سمعة حسنة.

ابق هنا حتى مساء الغد وسوف يريك اللّه من الأحلام والرؤى ما يوضح لك ما سوف يخططه لمستقبل الأيام، وما سيلاقيه أولئك الذين سيعيشون على الأرض في الأيام الأخيرة قبل القيامة.

لذلك نمت تلك الليلة في ذلك المكان، وكذلك الليلة التي بعدها كما أخبرني الملاك وطلب مني.

الفصل العاشر

نهاية الإمبراطورية الفارسية

١ ـ ١٠.النسر الفارسي الذي يحكم العالم.



وفي الليلة التالية رأيت حلماً. نسراً كبيراً آتياً من البحر وله اثنا عشر جناحاً وثلاثة رؤوس. كان النسر يبسط أجنحته العظيمة في السماء، وكانت الرياح

تضرب فيها من كل جانب، وكانت الغيوم منعقدة فوق رؤوس النسر الذي هيمن على معظم بلاد العالم.

من بين أجنحة النسر الضخمة بدأت أجنحة إضافية بالظهور ولكن حجمها كان أصغر من تلك الأجنحة العظيمة، وذات أهمية أقل. كان عددها ثمانية أجنحة.

كانت الرؤوس الثلاثة نائمة. وكان الرأس المتوسط أكبر من الرأسين الجانبيين.

كان النسر يحلق في السماء وهو يحكم أهل الأرض. لقد أصبح كل شيء تحت تسلط النسر الغاشم. ولايستطيع أحدٌ معارضته أو التمرد عليه.

وقف النسر على مخالبه والتفت إلى أجنحته قائلاً: ليس عليكم أن تستيقظوا جميعاً في نفس الوقت. عليكم أن تناموا جميعاً وكلٌ منكم يستقيظ في دوره. وعلى الرؤوس أن تستيقظ آخر الجميع. لاحظت أن صوت النسر لم يكن صادراً من أي من رؤوسه الثلاثة، وإنما كان الصوت صادراً من وسط جسد النسر.

٢ ـ ١٠. تتابع الحكام.

بعد ذلك ارتفع النسر باسطاً أحد أجنحته الموجودة على طرفه الأيمن. وبدأ النسر يحكم جميع بلاد العالم. وبعد أن انتهى حكمه اختفى الجناح تماماً ولم يترك أي أثر. وبعد ذلك ارتفع جناح آخر وحكم العالم لمدة طويلة من الزمن. وعندما حان وقت انتهاء حكمه اختفى تماماً مثلما اختفى الجناح الأول، وسُمع صوت يقول للجناح: أنت حكمت العالم لمدة طويلة من الزمن، وأريد أن أسمعك هذه الرسالة قبل أن تختفي. لن يحكم أحد بعدك لمدة بطول مدة حكمك ولا حتى بمدة تساوي نصف مدة حكمك.

وبرز الجناح الثالث وارتفع ليحكم كما فعل الجناحان السابقان، ثم اختفى كسابقيه، وبدأت الأجنحة الباقية تظهر وتختفي واحداً بعد الآخر.

بعد فترة بدأت الأجنحة الصغيرة على الطرف الأيمن تكبر وتحكم. بعضها حكم لمدة قصيرة ثم اختفى وبعضها الآخر ارتفع ولكنه لم يستطع أن يحكم أبداً.

وبعد مدة لاحظت أن الاثني عشر جناحاً، وجناحين صغيرين قد اختفوا تماماً، ولم يبق للنسر سوى أجنحته الستة الصغيرة، ورؤوسه الثلاثة النائمة.



بعد ذلك انفصل جناحان صغيران وأخذا يحلقان قريباً من الرأس الأيمن للنسر، وبقيت أربعة أجنحة متصلة مع جسم النسر.

أخذت الأجنحة الأربعة بالتوسع والكبر تريد أن تحكم العالم. أحد تلك الأجنحة ارتفع ولكنه اختفى سريعاً، والثاني ارتفع أيضاً ولكنه اختفى بسرعة أكبر مما اختفى الجناح الذي قبله. ورأيت الجناحين الأخيرين يسعيان لكي يحكما. وبينما هما يرسمان الخطط ويحكماها، استيقظ الرأس الكبير في الوسط، ثم استيقظ الرأسان الآخران، وانضما إليه يشاركانه الحكم.

وعندما استدار الرأس الكبير الأوسط لكي يلتقم الجناحين اللذين كانا يحاولان التوسع أخذ الرأسان الآخران يساعدانه. بعد ذلك تعاظمت قوة الرأس الأوسط وبدأ يحكم بدكتاتورية مطلقة وظلم أسود، يصيب بشرّه كل الناس وفي كل مكان، وامتدت سطوته على بلاد العالم ونفوذه كان أكبر من نفوذ جميع الأجنحة التي سبقته وحكمت قبله. ثم اختفى الرأس المتوسط فجأة كما اختفت الأجنحة من قبله. وبقي للنسر رأسان، هما أيضا اكتسبا القوة وحكما العالم والناس.

وبينما كنت أراقب ما يجري قام الرأس الأيمن فالتقم الرأس الأيسر.

بعد ذلك سمعت صوتاً يقول: انظر إلى ما سوف يجري وفكّر بمعنى ما رأيت وما سوف ترى.

٣ ـ ١٠. محمد ﷺ ينهي دولة الأكاسرة.

رأيت أسداً غاضباً خرج من الغابة وهو يزأر بصوت قوي، وسمعته يخاطب النسر بلهجة إنسانية فصيحة: استمع إليّ أيها النسر وافهم ما أقول: إنها رسالة من اللّه إليك. أيها النسر أنت الوحيد الذي بقي من الحيوانات الأربعة التي أشرت أنها ستحكم العالم. وهي التي ستوصل العالم إلى نهايته. أنت الحيوان الرابع. وأنت الحيوان الذي قهرت جميع الحيوانات التي جاءت من قبلك. وعندما تسلطت على الناس حكمتهم بالظلم والرعب، ونشرت بينهم الغش والفساد. لم تهتم بشيء يدعى الإيمان بل فتكت بشكل وحشي وضار بالناس المؤمنين الطيبين، الذين كانوا ينشدون العيش بسلام. كنت تكره أولئك الذين يقولون الصدق، وكنت تحب أولئك الكاذبين المنافقين. لقد هدمت بيوت المؤمنين الوادعين الذين لم يكن منهم أذى لأحد. واللّه وحده يعلم كم كنت متكبراً ومتعجرفاً فخوراً مغروراً. وإن اللّه قد أوصل العالم الذي بدأه إلى نهايته التي باتت قريبة جداً. وهكذا أيها النسر المتسلط الشرير فإن الوقت قد حان لكي تختفي ومعك جناحاك المخيفان، ورأسك الشرير ومخالبك المرعبة، وكل جسدك الذي لم يعد يساوي شيئاً. وإن العالم بأجمعه سوف يتجدد متحرراً من عنفك وجبروتك. سيسود العدل وتنتشر الرحمة في العالم.

أثناء تكلم الأسد مع النسر بهذه الطريقة كان رأس النسر يختفي شيئاً فشيئاً. وبدأ الجناحان الصغيران اللذان تحركا باتجاه الرأس الأيمن بالاستعداد للحكم، ولكن حكمهما كان قصيراً ومليئاً بالاضطراب واختفيا بعد قليل.

ورُوّع العالم بانفجار جسم النسر الذي احترق ملتهباً مخلفاً وراءه شعلة ذابت في الهواء.

استيقظت مضطرباً وخائفاً وقلت: لقد جلبت هذا لنفسي وعلى رأسي، ذلك أني حاولت فهم ودراسة حكمة اللّه في تسيير هذا العالم. كنت منهكاً عقلياً وجسدياً، خائر القوى كليل الفؤاد. وقد أذهب شجاعتي وقوتي ما لاقيته تلك الليلة من أهوال.

كان كل ما أستطيع فعله هو التوجه إلى اللّه تعالى ليأخذ بيدي ويعطيني القوة. بدأت الصلاة. قلت: سيدي ومولاي: إذا كان صحيحاً أنك تعتبرني من رجالك الصالحين فاستمع إلى دعائي. إني أرجوك أن تمدني بالشجاعة والقوة، وألهمني يارب المعنى الكامل للرؤيا التي أريتني إياها لكي يرتاح قلبي وتهدأ نفسي.

٤ ـ ١٠. تفسير الرؤيا.

قال لي الملاك: إليك تفسير الرؤيا التي رأيتها.

إن النسر الذي رأيته يأتي من البحر فإنه يمثل المملكة الرابعة حسب الرؤيا التي شاهدها أخوك النبي دانيال[١] ولكنه لم يعط ذات التفسير الذي سوف أبديه لك.

لقد آن الأوان لكي تتأسس على الأرض إمبراطورية مخيفة ومرعبة أكثر من أي مملكة حكمت قبلها. سيحكم فيها اثنا عشر ملكاً. وستكون مدة حكم الملك الثاني طويلة. وهذا هو معنى الاثنا عشر جناحاً التي رأيتها.

ولقد سمعت صوتاً صادراً عن جسم النسر بدلاً من أن يصدر عن رأسه. وهذا يعني أنه بعد حكم الملك الثاني سيكون هناك صراع عنيف على الحكم وستصبح الإمبراطورية تحت خطر الانهيار، وسوف تسترجع الإمبراطورية سابق مجدها. رأيت أيضاً ثمانية أجنحة صغيرة ومهملة. وهذا يعني أن ثمانية ملوك سوف يصعدون لحكم الإمبراطورية ولكن مدة حكمهم ستكون قصيرة وغير مهمة. اثنان منهم سوف يظهران لمدة قصيرة وسط الفترة، وأربعة منهم لن يظهروا إلا في عهد قريب من نهاية الفترة، والأخيران سيبقيان حتى نهاية الفترة.

لقد كان للنسر ثلاثة رؤوس نائمة، وهذا يعني أن اللّه سوف يُصعد لحكم الإمبراطورية ثلاثة ملوك، وهم سيطورون المملكة ويحكمون الناس بمزيد من

(١) يوجد في الكتاب المقدس ما يدعى بنبوءة دانيال. ودانيال هو أحد الأنبياء الأربعة الكبار. (اشعيا ـ دانيال ـ إرميا ـ حزقيال) كان في السبي البابلي وفسّر أحلام الملك ونال حظوة عنده. بشر برسول اللّه ومملكة القديسين التي ستحكم العالم.

القسوة والظلم أكثر ممن كان قبلهم، لذلك شُبهوا برؤوس النسر. إن هؤلاء الملوك سيكملون مسيرة الكفر والإلحاد التي يعمل النسر من أجلها.



ولقد رأيت أن الرأس الكبير قد اختفى، وهذا يعني أن أحد هؤلاء الملوك سوف يموت على فراشه، إثر نوبة قلبية مفاجئة. أما الآخران فسوف يموتان في المعركة. أما أحدهما فسوف يقتل الآخر. والقاتل سوف يقتل أيضاً في معركة.

ورأيت جناحين صغيرين يخفقان تحت الرأس الموجود الأيمن للنسر. وهذا يعني أن اللّه القدير سوف يبقي حاكمين حتى النهاية، ولكن مدة حكمهما سوف تكون قصيرة ومليئة بالمشكلات والاضطرابات.

٥ - ١٠. من هو الأسد الغاضب.

أما الأسد الغاضب الذي رأيته خارجاً من الغابة وهو يزأر ويوبخ النسر ويعنفه من أجل الشرور والآثام التي ارتكبها، فهو المسيّا. وإن اللّه يخبئه ليجيء قبل انقضاء نهاية العالم. وسيكون من أحفاد إبراهيم[1]. وهو الذي سيوبخ الملوك والحكام من أجل ضعف إيمانهم ونفاقهم، من أجل شرورهم وأخطائهم، من أجل ازدرائهم وقلة احترامهم للشريعة التي أنزلها اللّه تعالى، لذلك فإن حسابهم سيكون عسيراً. سيهلكون، سيفنون بسبب ذنوبهم، وسيرحم اللّه شعبه المختار. سيطلقهم أحراراً، وسيبقون فرحين مسرورين حتى تأتي نهاية العالم. يوم الدينونة الذي حدثتك عنه سابقاً.

(١) في الأصل داوود. ولكن رأينا استبدال إبراهيم بداوود. وهو الجد الأعلى لجميع الأنبياء.

هذا هو تفسير حلمك. وهذا هو معناه. وإنك أنت الوحيد الذي رأى اللّه أنك تستحق أن تطّلع على هذا السر، لذلك اكتب ما رأيته، وضع الكتاب في مكان أمين، وعلّم هذه الأسرار للحكماء من شعبك، أولئك الذين يستطيعون فهم هذه التعاليم وحفظها بأمانة وسريّة، وعليك البقاء هنا لمدة سبعة أيام أخرى، وإن اللّه العلي القدير سوف يبين لك ما يريده منك.

تركني الملاك وذهب، وبقيت سبعة أيام أخرى. ولمّا رأى الشعب أني لم أرجع بعد إلى المدينة جاؤوا كلهم غنيهم وفقيرهم كبيرهم وصغيرهم وسألوني: هل أخطأنا بحقك أو قصرنا بواجبنا تجاهك؟[1]. لماذا تهجرنا وتمكث في هذا المكان بعيداً عنا: أنت الوحيد الذي بقي لنا من جميع الأنبياء. أنت العنقود الوحيد في شجرة الكرمة، وفي جميع الحقل. أنت النور المضيء لنا في ظلمة مشكلاتنا. أنت شاطئ الأمان للسفن التي تجنح بنا في العواصف. أما يكفينا ما نعانيه وما نقاسيه من آلام؟.

إذا كنت ترغب بهجراننا فإنه كان من الأفضل لنا لو أننا احترقنا ومتنا مثل الآخرين، سكان القدس، فبالتأكيد لسنا بأفضل منهم. وبعد ذلك بدأ الجميع بالبكاء بصوت عالٍ.

قلت لهم: كونوا شجعاناً يا بني إسرائيل. دعوا الحزن والأسف جانباً، فإن اللّه العلي القدير لازال يذكركم، وإنه لن ينساكم، وهو معكم يساعدكم في حلّ مشكلاتكم وتسكين اضطراباتكم. أمّا أنا، فلم أترككم ولم أهجركم، وإنما جئت إلى هنا كي أصليّ من أجل مدينة القدس. أطلب لها الرحمة. وأنا أصلّي من أجل معبدكم الذي دمّرَ ودنّس ولطّخ بالعار.

أرجوكم ارجعوا جميعاً إلى منازلكم، وسوف أعود إليكم بعد بضعة أيام.

سمعوا كلامي وتركوني، وعادوا إلى المدينة.

---

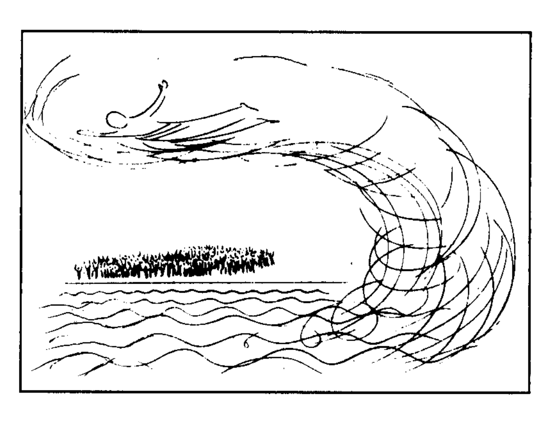
(١) سر نجاح اليهود في تلك الفترة هو محبتهم وطاعتهم لأنبيائهم.

الفصل الحادي عشر

انتصـار الإيمـان

١ ـ ١١. ذوبان الباطل واضمحلاله.

بقيت في الحقل مدة سبعة أيام كما أمرني الملاك. أقتات بأكل الزهور البرية . لقد كنت إِنساناً نباتياً في تلك الأيام. وفي الليلة السابعة رأيت حلماً.



رأيت ريحاً تهبّ من البحر وتهيّج أمواجاً عظيمة، ثم خرج من بين تلك الأمواج سحاب تشكل بهيئة رجل يعرج في السماء، ويطير بين الغيوم. وعندما أدار وجهه ارتعد من الخوف كل باطل شاهد وجهه الكريم. وعندما تكلم ذاب ذوبان الشمع في النار كل شيء مزيف سمع صوته.

نظرت إلى الأرض وإذا جمع غفير لايعد ويحصى من النـاس أتـوا مـن أطـراف الأرض يريدون محاربة الرجل الذي خرج من البحر.

كان الرجل يحلّق محوِّماً حول صخرة منحونة[1] كأنها قدّت من جبـل. حـاولت أن أعرف مكان الصخرة العظيمة أو المنطقة التي بنيت فيها. ولكني لم أعرف.

ما زال الجمع المحتشد مصمم على قتال الرجل، والجميع مسـتعدون للمنازلـة رغم الخوف والارتباك اللذين كانا يميزان تحركاتهم.

عندما رأى الرجل هذا الحشد الهائل المسلح يتقدم نحوه ليهاجمـه، لـم يبـادر إلى أي استعداد ولم يشهر أي سلاح. الشيء الوحيد الذي فعله هـو أنـه فتـح فمـه ليخرج من بين شفتيه عاصفة ملتهبة على شكل سيل جارف من نار يصاحبها شرر ينبعث من لسـانه. وإن سـيل النـار المشـتعل اندمـج مـع الريـح العـاصف والشـرر المتطاير لينصب على الجموع المحتشـدة والآتيـة لمهاجمتـه، فـأحرقتهم جميعـاً. وفي لحظة واحدة كان ذلك الجمع المحتشد الـذي لايعـدّ قـد اختفـى، ولـم يبـق مكانه سوى بعض الرماد ورائحة الدخان تملأ المكان.

بعد ذلك نزل الرجل من فوق صخرته ودعى حشداً كبيراً آخر لمواكبته. كـان ذلك الجمع جمع محبة وسلام، يضم جميع القبائل وكلَّ الأجناس. بعضهـم كـان مسروراً غاية السرور وبعضهم كان حزينـاً، وآخـرون جـاؤوا وقـد قيـدت أيديهـم وأرجلهم برباط، وآخرون جاؤوا يسوقون أمامهم آخرين ليعتقوهم هبة لله تعالى.

٢ ـ ١١. خاتم الأنبياء والشريعة الإلهية العالمية النهائية.

أفقت من حلمي وقد روعني مـا رأيـت وبـدأت صلاتـي: إلهـي وسـيدي لقـد أريتني هذه الأشياء العجيبة المعجزة. لقد اعتبرتني مستحقاً لهذا الكشـف الغيبـي. لقد سمعت دعائي والآن أرجوك أطلعني على معنى الحلم.

---

(١) تلك الصخرة هي الكعبة الشريفة.

كنت أقول لنفسي: سيئٌ حظ أولئك الناس الذين سيعيشون إلى ذلك اليوم لأنهم سيلاقون أحداثاً جساماً. ولكن الأسوأ لايستحق الحياة الأبدية. أولئك الذين سيحرمون من السرور في اليوم الآخر. ولكن أولئك الذين يستحقون الحياة الأبدية سيعانون من الاضطهاد أثناء حياتهم وعليهم أن يواجهوا أخطاراً عظيمةً ومتاعب جمة. ولكن كما تبين الرؤى التي رأيتها فإن اجتياز تلك المخاطر بعد معاناتها والفوز بالجنة خيرٌ آلاف المرّات من الاضمحلال من هذا العالم دون الحصول على الحياة الأبدية، والتلاشي كما تتلاشى سحابة صيف قائظ.

قال الملاك: سوف أشرح لك معنى الرؤيا التي رأيتها وأجاوب عن أسئلتك التي سألتها. ليكن معلوماً لك أن اللّه سبحانه وتعالى هو الذي يحمي عباده المؤمنين من الأخطار التي تحيط بهم، وذلك بسبب الأعمال الصالحة التي ادّخروها أثناء حياتهم، وتأكد من أنه رغم الصعوبات الظاهرة التي يعاني منها المؤمنون فهم أحسن حالاً وأهدأ بالاً من أولئك العصاة المذنبين الذين استحقوا الموت الأبدي.

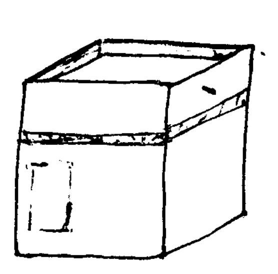
أما الرجل الذي رأيته في الحلم وهو يخرج من البحر فهو يمثل الشخص الذي حفظه اللّه عنده لمدة أجيال كثيرة ودهور عديدة. وهو سوف يحرر العالم وسيأتي بشريعة جديدة لأولئك الذين رضي اللّه عنهم ووعدهم بالفوز بالحياة الأبدية.

لقد رأيت سيلاً من اللّهب يخرج من فم الرجل ورأيت كيف أنه وبدون سلاح حطم حشداً كبيراً من الناس الذين كانوا يستعدون لمهاجمته.

ومعنى هذا أن الوقت قد اقترب عندما يتباعد الناس بعضهم عن بعض، عندما تقوم الحروب بين المدن والأمم، والشعوب والممالك، وعندما يحدث هذا وتظهر العلامات التي أخبرتك عنها سابقاً، عندها سوف أظهر عبدي وهو الذي رأيته يخرج من البحر.

وعندما تسمع الأمم والشعوب صوته فإنهم ينسون خصوماتهم ويتحدون بعضهم مع بعض، ويأتون صفاً واحداً متحداً في جمع عظيم أكبر من أن يحصى، تماماً كما رأيت في الحلم.

سوف تتحد الأمم لتحقيق هدف واحد وهو محاربة عبدي الذي سيأخذ استعداداته على الجبل المقدس. وسوف تظهر قدس جديدة مكتملة ومليئة بالأبنية يراها كل إنسان مثل تلك الصخرة المنحوتة بالقدرة الربانية وليس بالأيدي البشرية تماماً كما رأيت في الحلم.



وأما العاصفة التي رأيتها تخرج من فم عبدي فهي تعني أنه سوف يقوم بتوبيخ أمم الأرض على كفرها وضلالها وعدم إيمانها بالله الواحد. وأما الشرر واللهب المنبعثان من فم عبدي فهما رمزٌ لتحديه ومجابهته لهم وإحباطه لخططهم الشريرة ومكرهم السيّئ، وإنذار لهم منه بالعذاب والألم الذي سينصبّ عليهم في جهنم. أما النار فهي رمزٌ للشريعة التي سوف تدمّر بسهولة كل من يعاديها.

ورأيت الرجل يجمع حشداً آخر، هو محبة وسلام. أولئك هم أسباط بني إسرائيل العشرة الذين نفاهم سنحاريب ملك الآشوريين زمن الملك هوشع. أسرهم ونفاهم إلى أرض غريبة بعيدة عن ديارهم. أجلاهم إلى ما وراء النهر ـ شرقي نهر الفرات ـ ولكن الأسباط العشرة المنفيين من بني إسرائيل رفضوا البقاء بين عباد الأوثان من الإيرانيين وتحركوا نحو الشرق البعيد، إلى بلاد لم يسكنها بشر من قبل. وهناك أملوا في تطبيق شريعتهم التي فشلوا في تطبيقها في بلدهم.

وأثناء مسيرتهم صادفتهم المتاعب عند اجتيازهم روافد نهر الفرات، ولكن الله سهّل لهم الأمور وأجرى لهم المعجزات، فتوقف الماء الجاري في روافد الفرات

حتى اجتازوها بسلام. واستغرقت رحلتهم سنة ونصف السنة. حتى وصلوا إلى منطقة ـ خزاريت ـ [١] حيث استوطنوا هناك[٢].

وفي الأيام الأخيرة وقبل نهاية العالم سوف يعودون إلى بلادهم. ومرة أخرى فإن الله العلي القدير سيسهل لهم عبور روافد الفرات، وهم ذلك الحشد المحب المسالم الذي رأيته. سيعودون ويعود معهم شعبي المشتت بعيداً أو قريباً من الأرض المقدسة. عندما يحين ذلك الوقت يحضر عبدي لكي يحطم أعداءه الذين

---

(١) هناك منطقة غربي كييف تدعى زاريتسك. وفيها جالية يهودية كبيرة العدد لاتزال موجودة حتى الآن.

(٢) كانت خازاران ـ إتل. عاصمة مملكة الخزر ملجأ لليهود المضطهدين في جميع بلاد العالم وأصبحت الهجرة إلى خازاران جماعية بعد تهود ملكها. ويقول ابن فضلان الذي قام برحلة إلى بلاد البلقار الذين أعلنوا إسلامهم زمن الخليفة المقتدر وطلبوا منه الحماية بسبب تعديات ملك الخزر اليهودي. ويقول ابن فضلان: وكل الخزر وكذلك ملكهم يهود. ويخضع له البلقار وكل جيرانهم وهم يعاملونه بإذعان شبيه بالعبادة ويظن البعض أن يأجوج ومأجوج هم الخزر.

وأما المقدسي (القرن العاشر الميلادي) فيكتب: في خازاريا توجد الأغنام والعسل واليهود بكميات كبيرة. ويكتب الراهب الوستفالي (من جنوب فرنسا) كريستيان دروثمان سنة ٨٦٤ ميلادية: إن تحت السماء أناساً في مناطق لايمكن أن يعيش بها مسيحيون. ويدعون يأجوج ومأجوج. وهم الهون. ومن بينهم قبيلة تسمى الخزر وهم مختونون ويعتنقون اليهودية بكاملها.

ويرجع المؤرخون تهود ملوك الخزر إلى العام ٧٤٠ ميلادية أثناء حكم الملك بولان أو بولخان الذي غزا أرمينيا التي كانت تحت الحكم الإسلامي.

كان أمل عزرا أن يدخل يهود الخزر في دين الإسلام ولكنهم رأوا أن من مصلحتهم البقاء على اليهودية وعدم الخضوع لخلفاء بغداد. وعدم الاعتراف برسول الله ﷺ مخلصاً للعالم لذلك فهم ينتظرون قدوم المخلص. وفي القرن العاشر الميلادي هاجم الروس إتل وخازران فهرب الخزر إلى باكو ثم عادوا منها وقد أسلموا جميعاً ما عدا ملكهم (وفقاً لقول ابن مسكويه). وأما الخرز في باقي دولة خازاريا الذين لم يدخلوا دين الإسلام فقد عادوا إلى الشتات والتبعثر بين الأمم. لقد دخل معظم يهود الشتات الذين هم أبناء إبراهيم وإسرائيل في دين الإسلام والتحقوا بقافلة الإيمان مشكلين وفد محبة وسلام، وجاءوا للحج إلى مكة المكرمة ككل المسلمين ولم يأتوا للاستيطان، أما الخزر المتهودون وهم أصلاً من قوم يأجوج ومأجوج وهم المفسدون في الأرض. فقد جاءوا إلى فلسطين بثياب الحرب ونيتهم السلب والنهب وطرد سكان البلاد الأصليين. (نبوءة حزقيال ـ رؤيا يوحنا ـ سورة الكهف) وحالياً فإن جميع سكان ما وراء السد (مملكة الخزر قديماً) مسلحون متمسكون بدينهم رغم محاولات الشيوعية التي حكمتهم ٧٤ سنة، وهم الآن يسعون للاستقلال عن روسيا الاتحادية. ولمزيد من المعلومات ننصح بقراءة كتاب القبيلة الثالثة عشرة، وأيضاً مراجعة الفصلين ٣٨ و٣٩ من نبوءة حزقيال.

اجتمعوا في حشود كبيرة ومن كل الأمم. سوف يحمي شعبه الذي تُرك، وسيجري معجزات كثيرة لإنقاذهم.

بُعد ذلك سألت الملاك قائلاً: سيدي، أرجوك أخبرني لماذا خرج الرجل من البحر؟.

قال الملاك: لا يستطيع أحد اكتشاف ما يوجد في قاع المحيط، وكذلك لايستطيع أحد من البشر أن يعرف الأرض التي سيخرج منها عبدي والذين آمنوا معه، حتى يأتي اليوم الموعود. ذلك هو معنى الحلم الذي رأيته.

عزرا. أنت الوحيد الذي أُنبئ بهذه الحوادث والأخبار لأنك كرّست نفسك وحصرت اهتمامك في دراسة وفهم الشريعة، وأوقفت حياتك لمعرفة الحكمة. إنك تنظر إلى المعرفة كأم وتنهل من صدرها وقت تشاء. لهذا السبب فإن اللّه كافأك هذه الأشياء. وبعد ثلاثة أيام سوف أعود إليك لأخبرك بأشياء جديدة لها معان عميقة.

الفصل الثاني عشر

موسى الثاني

١ ـ ١٢. اقتراب نهاية عزرا.

بقيت في الحقل أتمشى وأنا أحمد اللّه تعالى وأثني عليه وأشكره بسبب الرؤى التي منَّ بها عليَّ وأراني ما تخبئه الأيام من أحداث مبهجة تسرّ المؤمنين، وأنه سبحانه وتعالى بمنتهى الدقة والحكمة قد عين لكل حدث وقتاً معيناً.

بعد ثلاثة أيام وبينما كنت جالساً أستظل تحت شجرة بلّوط. سمعت وبلامقدمات صوتاً آتياً من شجرة صغيرة على بعد قريب مني يناديني: عزرا عزرا. وقفت مبهوتاً أتلفت وقلت: لبيك ربيّ. أنا هنا. واستمر الصوت قائلاً: لقد أعلنت عن نفسي لموسى من خلال شجرة

العليق الملتهبة، عندما كان شعبي في مصر، أرسلته ليقودهم. وخلال مكوث موسى في جبل سيناء أعطيته الأسرار وأخبرته عن الأحداث التي سوف تجري في العالم حتى نهاية الأزمان، وبينت له ما يستطيع أن يذيعه بين الناس من أمور تشريعية وتعليمية، وأمرته أن يحتفظ ببعض الأسرار لا يذيعها إلا لمن يؤتمن عليها.

والآن فإني آمرك أن تستظهر عن ظهر قلب كل الرؤى والإشارات التي أريتك إياها مع تفسيرها كي تلقنها لمن بعدك لأن نهايتك قد اقتربت، وأنك توشك أن تغادر هذا العالم إلى الجنات العلى، حيث يعيش أمثالك من رجال اللّه الصالحين هناك مع عبدي وإلى الأبد.

لقد شاخ العالم ولم يعد شاباً، وهو الآن يتسارع نحو نهايته. إن تاريخ العالم مقسم إلى اثنتي عشرة فترة. وقد بدأت الآن الفترة العاشرة، وبصورة أدق قد مضى حتى الآن نصف الفترة العاشرة وبقي فترتان ونصف حتى نهاية العالم.

هيىء أهل بيتك لاستقبال ما سيأتي. حذّر شعبك من الخطايا والآثام. أعط الأمل للمقهورين، والحكمة والعلم لمن يستحقهما، ثم قل السلام عليكم وداعاً أيتها الحياة الفانية. توجه إلى اللّه تعالى بكلّيتك قلباً وروحاً. انزع عنك الواجبات البشرية ولا تهتم بالمشكلات الأرضية. لا تستسلم لضعف الطبيعة البشرية. كن قوياً ثابتاً. اطرد عنك الاضطراب والقلق وكن جاهزاً لمغادرة هذا العالم في وقت قريب جداً.

لقد رأيت شروراً وآثاماً كثيرة ولكن الأيام المقبلة سوف تأتي بمزيد من الشرور والآثام، فكلما شاخ العالم وضعف تضاعف الشر المنصبّ على الناس وازداد. سينتشر المكر والخداع وسيختفي الصدق والأمانة. وإن النسر الذي رأيته في حلمك سيسيطر على العالم.

٢ ـ ١٢. من يبلغ الأجيال القادمة؟.

قلت سيدي: هل تسمح لي بأن أقول شيئاً في حضرتك. أنا مستعد للرحيل ومغادرة العالم كما تأمرني، وأنا سوف أحذر الأشخاص الحاضرين. ولكن من

يحذر الأجيال القادمة التي لم تولد بعد؟. هذا العالم مكان مظلم فقد الناس فيه نور الشريعة بسبب الحريق الذي أصاب الهيكل، لذلك لايوجد من يعرف ماذا صنعت في الماضي أو ماذا تخطط ليكون في المستقبل، لذلك أرجوك أن ترسل لي روحك القدوس كي أتمكن من كتابة كل شيء حدث في هذا العالم منذ بداية خلقه، وكل شيء كنت قد أمرت بكتابته في توراتك. وبهذا فإن الناس الذين سيأتون في الأيام المقبلة يستطيعون التمييز بين الخطأ والصواب. ويستطيعون لو أرادوا أن يحصلوا على الحياة الأبدية السعيدة.

قال: اذهب واجمع الناس وقل لهم أن لا ينتظروا رجوعك قبل أربعين يوماً، وأحضر عدداً كبيراً من ألواح الكتابة، وخذ معك خمسة كتّاب سريعي الكتابة، وهم سرايا ـ دبرايا ـ شلحيا ـ إينان ـ أسيل. وبعد ذلك سأضيء في قلبك مصباح نور المعرفة ولن يغادرك ذلك النور حتى تُنهي الكتابة التي انتدبت لها. وعندما ينتهي عملك فإنك سوف تجعل بعض تلك الكتب مسموحة لكل من أراد التعلم منها. أما الكتب الباقية فسوف تبقى سرية لايسمح بقراءتها إلا للرجال الحكماء الذين يطلعون عليها بسرية تامة ولايذيعون أسرارها أبداً. وغداً في مثل هذا الوقت ابدأ بتسطير أقوالك.

٣ ـ ١٢. تدوين التوراة.

فعلت كما جاءتني الأوامر، وجمعت الناس وقلت لهم: يا بني إسرائيل استمعوا لما سأقول لكم، عاش أجدادنا كغرباء في أرض مصر، ثم أطلقهم اللّه ومنحهم الشريعة لكي يحصل كل من حافظ عليها على الحياة الأبدية السعيدة. ولكنهم لم يحفظوها ولم يبالوا بها. وعندما جاء دوركم أيضاً لم تحفظوها ولم تنفذوها، وألقيتم بها وراء ظهوركم. لقد أعطاكم اللّه الأرض المقدسة ملكية خاصة لكم. ولكنكم كنتم آثمين مثل أجدادكم ولم تتبعوا صراط اللّه المستقيم. لقد كان اللّه شاهداً وحاكماً عليكم، لذلك أخذ منكم بعد فترة ما كان قد أعطاكم. والآن أنتم في الأسر والمنفى ولكنكم أقرب إلى القدس من إخوانكم اليهود الآخرين

المهجرين قبلكم. وإذا أردتم أن تعيشوا بأمان فعليكم التعلم، وعليكم تطهير ضمائركم. عندها ستنالون الرحمة في اليوم الآخر بعد الموت. ذلك أننا سنعود إلى الحياة مرة أخرى لينال الصالحون جزاء أعمالهم. أما أولئك الذين عاشوا منكرين وجود اللّه فإنهم سيخزون ولن يجدوا من يحميهم أو يدافع عنهم. والآن لايقترب مني أحد منكم أو يحاول أن يتصل بي وذلك لمدة أربعين يوماً.

وكما جاءتني الأوامر استدعيت الكتبة الخمسة ومضينا جميعاً إلى الحقل وبتنا تلك الليلة هناك.

٤ ـ ١٢. نهاية المطاف.

وفي اليوم التالي سمعت صوتاً يقول: عزرا افتح فمك واشرب ما سوف أعطيك.



وهكذا فتحت فمي وشربت كوباً من شراب أحمر بلون النار. وبعد أن شربته فاض عقلي بالمعرفة وازدادت فيَّ الحكمة، وأصبحت ذاكرتي قوية حافظة. وبدأت أتكلم دون توقف وقد أفاض اللّه الحكمة على الرجال الخمسة أيضاً، وأخذوا يكتبون وعلى التتابع ما كنت أمليه عليهم. استعملوا الأحرف الهجائية التي لم تكن معروفة من قبل، واشتغلوا بجد ونشاط لمدة أربعين يوماً. كانوا يعملون أثناء النهار، ويأكلون ويستريحون في الليل.

كنت أتكلم طوال اليوم، ولم أكن أتوقف عن الكلام حتى الليل. وخلال أربعين يوماً أمليت على الكتبة أربعة وتسعين كتاباً. وعند نهاية الأربعين يوماً قال

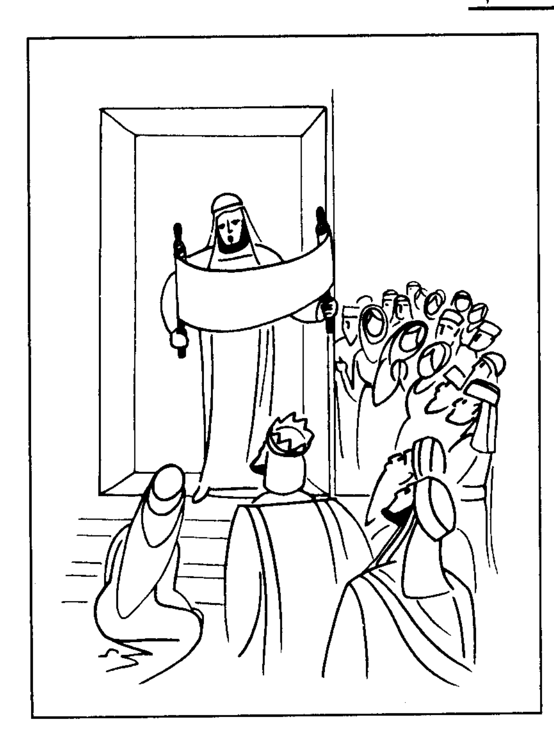
اللّه لي: عليك أن تجعل عدداً من هذه الكتب مفتوحاً للجمهور. وتلك هـي الكتـب الأربعة والعشرون الأولى. وكل إنسان يستطيع الاطـلاع عليهـا إن كـان يسـتحق أن يقرأها أو لا يستحق. أما الكتب السبعون الباقية فهي كتب سرية يجب أن تحفظ في مكان أمين ولا تعطى إلا للرجال الحكماء من شعبك الذين يستحقون قراءتها، ذلـك أن هذه الكتب تحوي فيضاً من الحكمة ونهراً من المعرفة.

نفذت الأوامر كما يجب.

الفصل الثالث عشر

الطوفان العربي

١ ـ ١٣. حقد الأشرار على العالم.



يقول الرب: أعلن لشعبي عن رؤى نبوية، وابعث إليهم برسالة فليفهموها ثم ليكتبوها لأنها صحيحة وسوف تتحقق. لا تخافوا من أولئك الذين يمكرون بكم، ويخططون للإيقاع بكم. يريدون لكم السوء. لا تستسلموا لإرهاب أعداء الإيمان. إن الموت قريب وهو مصير كل إنسان. وسيطال الكافرين فلا تخشوهم.

يقول الرب: سأجلب على الأرض كوارث فظيعة ومخيفة. ستكون الحروب والمجاعات. سيكون الطاعون والخراب. ذلك أن المنافقين وضعاف الإيمان وسيئو الاعتقاد انتشروا في كل مكان. لقد وصل الشر إلى ذروته، لذلك يقول الرب: لن أبقى ساكتا إلى مدة طويلة عن أولئك المنافقين الكافرين الذين لاإله لهم. سأعذبهم قريباً. لقد أجرموا تجاه الرجال الصالحين. عذبوهم، اغتالوهم، أهانوهم. إن دمهم

المسفوك يستصرخ اللّه، يطلب الثأر والانتقام. إن أرواحهم المزهوقة تطالب بإدانة القتلة والمجرمين والاقتصاص منهم. فليؤمن الجميع ولايداخلهم شك أني سوف أستمع إلى دعاوي جميع الأشخاص الصالحين الذين استشهدوا في سبيل عقيدتهم. سوف آخذ بثأرهم، لن أضيع أعمالهم، وما بذلوه من أجل إيمانهم. لقد سيق شعبي إلى المذبح كما يساق قطيع الماشية إلى المسلخ للذبخ. وآخرون سيساقون أسرى ورهائن إلى مصر. وسأفعل ما بوسعي لردهم إلى أرضهم. سوف أجلب الكوارث والنكبات على رؤوس المصريين كما فعلت ذلك سابقاً. سوف أخرب مساكنهم ومدنهم. لن تهدأ خواطر المصريين، ستكون حياتهم ندب وعويل. سوف أهزّ الأرض من أساسها. أنا اللّه سأضربهم بعنف عدة مرات. المزارعون سوف يشكون ويبكون لأن الزرع لن ينبت والأشجار سوف تتحطم بسبب العواصف الهائلة التي سوف تهب عليها، وبسبب البَرَدَ الذي سينهمر عليها من السماء.

٢ ـ ١٣. فوضى عالمية.

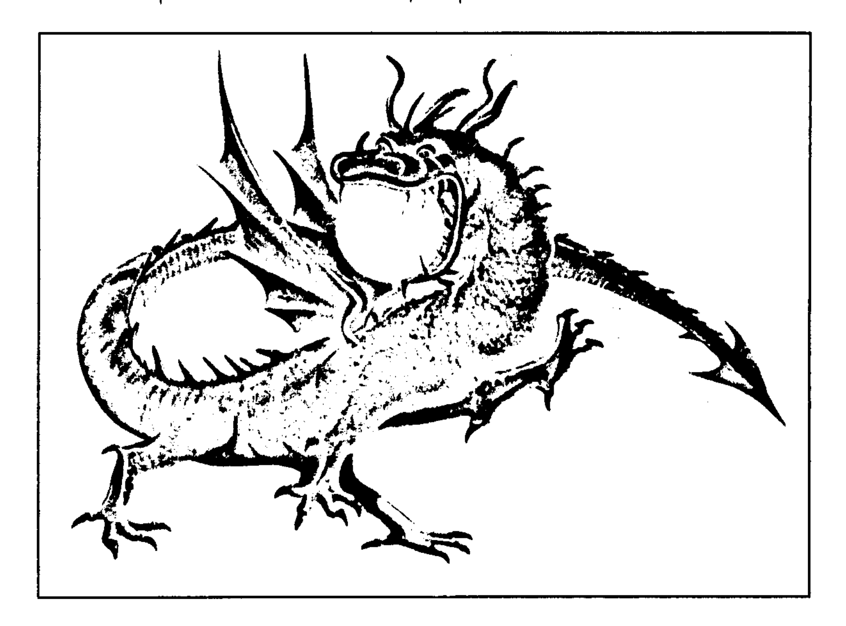
لقد أدين العالم وسيلاقي الناس قدرهم المشؤوم. الحروب قريبة جداً وستأتي ومعها الخراب والدمار. الشعوب تستعد وتتسلح لتحارب الشعوب الأخرى.

سيكون هناك اضطراب سياسي عام وكل فرقة تريد التغلب على رفيقتها لتستأثر بالحكم. سيتمرد الجنود على حكوماتهم الشرعية. وسيخرقون القانون. وسيسمحون لأنفسهم بالدخول والخروج من المدن متى شاؤوا وأرادوا.

الصراع على السلطة يزرع الخوف في قلوب الناس ويسبب الخراب والفوضى التامة. الجوع ــ الخوف ــ المعاناة. ستدفع الناس لكي يعتدوا على جيرانهم ويسلبوهم ممتلكاتهم ومدخراتهم دون رحمة أو شفقة.

يقول الرب: لقد دعوت ملوك الأرض في كل البقاع وفي جميع الجهات ليردوا ويعيدوا ما سلبوه من شعبي المختار، من عبادي المؤمنين. وسأعامل هؤلاء الملوك بنفس الطريقة المؤلمة التي عاملوا بها أتباعي المخلصين. سأستعمل قوتي وجبروتي ولن يكون هناك مجال لرحمة المذنبين والخاطئين. سيكون الموت من نصيب أولئك

الذين قتلوا عبادي الصالحين. إن غضبي متقد يحرق حتى النار، ويزلزل الأرض ويكوي أعدائي ويحرقهم كأنهم قشة. إنهم مذنبون لم يبالوا بأوامري ولم يحفظوا أسراري. سوف يدانون، سوف يهلكون. لن أرحمهم، سابعدهم عن ناظري. أيها المتمردون العاصون. لاتنجسوا معبدي المقدس. لايخفى على اللّه شيء. وهويعرف المذنبين والخاطئين. سيجازيهم وفق أعمالهم. سيكون الدمار نصيبهم والهلاك مصيرهم. سيسلمهم للموت الأبدي. الرعب والخراب سيحلان بالعالم ولايوجد مهرب لأحد. لقد أخطأتم أمام الرب ولن ينجو منكم أحد.

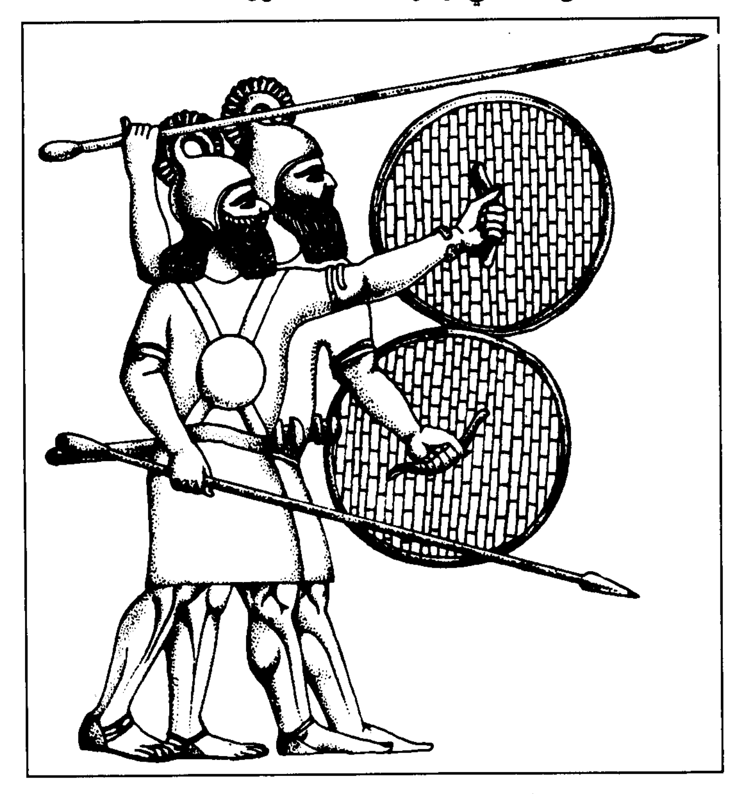


٣ ـ ١٣. يقظة العرب.

تتقدم جيوش العرب من الشرق. لقد استيقظ العرب فجأة من نومتهم وانطلقوا كالتنين الهائل ممتطين عرباتهم السريعة يريدون ابتلاع العالم.

الشعوب ترتجف فزعاً وهلعاً من الهجوم العربي. إن صوت تهليلهم وتسبيحهم ينتشر في الأرض ويدخل الرعب إلى قلب كل إنسان يسمعهم.

وبعنف وشراسة يتصدى لهم الكرمونيون[1] الذين ينطلقون من غاباتهم كـأنهم خنزير بـري متوحـش، ويتقـدم الكرمونيـون بعدتهـم التامـة وسـلاحهم الكـامل، ليهاجموا التنين العربي. ويتمزق قسـم كبـير مـن بـلاد آشـور بأنيـاب الكرمونييـن الحادة. ولكن العرب يوحدون صفوفهم ويجددون قواهم وينتزعون النصـر المبيـن من عدوهم. سيتغلبون على عدوهم. ويتعقبون الخنزير الـبري الشـرس. وسـيهرب الجيش المعادي. بشكل جماعي وهو خائف مذعور.



سينصب العـرب كمينـاً موفقـاً لأعدائهـم ويضربـون فـي صمـت وهـدوء، ويجبرونهم على التراجع.

يهلك أحد ملوك الكرمونيين تحـت ضـرب القنـا، وينتشـر الرعـب فـي جيشـه ويتشرد مبعثراً في البلاد ويسود الضياع ويغلب التردد على باقي ملوك الكرمونيين.

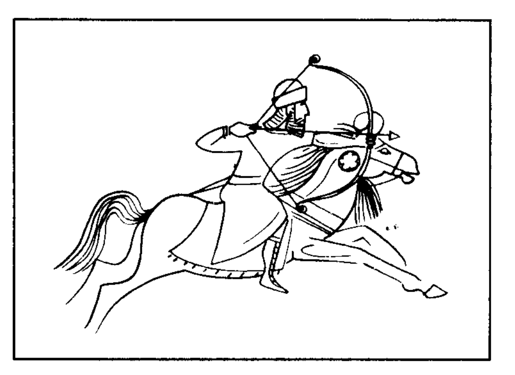
---

(١) cormona مدينة في جنوب إسبانيا. قوة وحصينة. وفي الخرائط العربية قرمونة.

٤ ـ ١٣. غضب الطبيعة وغضب الإنسان.

غيوم عاصفة تملأ الأفق وتسد السماء، ثم تصب جام غضبها على الأرض. دماء غزيرة تملأ الأرض ورجال الحرب يغوصون فيها إلى ما فوق الركب. وسكان المعمورة يرتعشون خوفاً وهلعاً من المناظر الكريهة التي يرونها.

عاصفة من الغيوم الهائلة تهب بقوة على العالم فتدمر وتقضي على جميع الناس الموجودين. عاصفة من النار والبَرَد، وسيوف تخطف الأبصار تنقضّ نحو الأرض وتقضي على الأقوياء والحاكمين وأصحاب السلطة المتنفذين.



ستفيض الأنهار بطوفان عارم وتغرق الحقول وتدمر المدن وتقضي على الغلال والمحاصيل.

وسيبلغ اليأس مدينة بابل ويملؤها بالخراب. سيكون نصيبها الدمار. الغبار والدخان يعلوان في السماء، ليشكلا غيمة عظيمة.

ستبكي جميع المدن نهاية بابل وتندب حظها العاثر. أما مصير أولئك الذين نجوا من الموت فسيكون العبودية مع الذل للمنتصرين الذين دمروا المدينة.

٥ ـ ١٣. آسيا بعد بابل.

وأنت يا آسيا (شمالي سورية) فسوف تتلقين ضربة موجعة. أنت مدانة. لقد انضممت إلى بابل وشاركتها مجدها الزائف. لقد كان همك تقليدها ومحاكاتها. لقد ألبست بناتك ملابس العاهرات وسمحت لهن بمعاشرة محبيك الذين يتطلعون إليك بشبق داعر. لقد قلدت بابل في كل الأمور الماجنة والسخيفة التافهة التي فعلتها، لذلك يقول لك الرب: ستحل بك الكوارث والنكبات.

سأجعل منك أرملة تقضي حياتها بين الفقر والمجاعة. الحرب تهلكك والأوبئة تفنيك. سأجلب على بيوتك الدمار والخراب حتى تموتين.

ستذوي القوة التي تفخرين بها. ستذبلين كما تذبل الزهور تحت حرارة الشمس المحرقة. سوف تصبحين امرأة بائسة ضعيفة مخموشة الخدين منحنية الظهر كسيرة الفؤاد. وقريباً لن ينجذب عشاقك نحوك أولئك الأغنياء المستهترين.

يقول الرب: كان من الممكن أن لا أعاقبك بقسوة وعنف لو أنك لم تجرمي بحق شعبي المختار، ولكنك ابتهجت كثيراً وأنت تضربينهم وتلحقين بهم الأذى. وعندما سكرت وانتشيت افتخرت بأنك قتلتهم.

اصبغي وجهك وتزيني واقبضي أجرك أيتها العاهرة، فإني سوف استرجع منك كل ما أخذته بسبب ما فعلته بشعبي المختار. ستأتيك المصائب وستخضعين للموت. سيهلك أولادك جوعاً ستسقط مدنك وسيقتل رجالك. وأما سكانك القاطنون في الجبال فسيعانون من المجاعة التي تقودهم إلى أكل اللحوم البشرية وشرب الدماء. ستكونين بائسة جداً وإلى حد كبير. ولتعلمي أيضاً أن بانتظارك عقوبات أخرى لاتزال في طريقها إليك. وإن الجيش الذي دمّر بابل سوف يأتيك ويدمر مدنك الآمنة المطمئنة. سوف يخرب ريفك الجميل ويحرقه. سيحرق جميع غاباتك وجميع بساتينك وجميع أراضيك. ستمتلئ سهولك وجبالك بالخرائب المهجورة. وسيختفي بهاؤك ويضمحل سناك. سيستولي أعداؤك على ممتلكاتك وسيحملُ أبناؤك أسرى وسجناء.

٦ ـ ١٣. بابل ـ آسيا[١] سوريا ـ مصر[٢].

لقد حكم عليكم. أنتم مدانون. البسوا ثياب الحداد والحزن[٣] ابكوا وَلْوِلُوا من أجل أطفالكم فإن وقت العقوبة قد حان. سأبتليكم بالحروب. من يستطيع

(١) هي آسيا الصغرى ـ (الأناضول).

(٢) تلك هي بلاد العالم المتقدم في ذلك الزمان.

(٣) هي ثياب خشنة قصيرة. تصنع من وبر الإبل وشعر الماعز.

إيقاف تلك الحروب؟ سأرسل عليكم ناراً. من يستطيع إطفاء تلك النار؟ ستحل بكم النكبات والكوارث. من يستطيع إيقاف مجيئهما؟. هل يستطيع أحد صد أسد جائع في الغابة؟. هل يتمكن أحد من إطفاء نارٍ ناشبة في قش يابس؟. هل يقدر أحد أن يرجع سهماً انطلق من قوس رجل قويٍّ؟. وعندما يرسل اللّه النكبات فلا أحد ينجو من نار غضب اللّه المتقدة. عندما يلمع البرق ترتعش القلوب، وعندما يهدد الرعد ترتجف المفاصل، وعندما ينذر اللّه مهدداً متوعداً تنكبّ جميع الوجوه على الأرض وتتزعزع أسس الأرض، ويتصدع قعر البحر، وترتعش الحيتان في جوف الماء خوفاً من أن ينزل اللّه سخطه وغضبه على الأرض.

إنه يشبه رجلاً قوياً هائلاً برى سهمه وشدّ قوسه وصوبه نحو الأرض، وهو لايخطئ الهدف أبداً. لقد أوقدت ناراً لن تطفأ حتى تحرق أسس الأرض. الكوارث في طريقها إلى الأرض كسهم أطلقه رجل قوي ولايمكن إرجاع السهم. لقد أدنت. لقد أدنت. من ينقذك في تلك الأيام؟. صراخ وعويل، بكاء وأنين، مجاعة حتى الموت. إنها الحرب وويلاتها وما يصاحبها من فوضى واضطراب. كوارث ونكبات وخوف وفزع. ماذا يفعل وقتها الناس؟.[1]

٧ ـ ١٣. مزيد من الخراب ومزيد من الدمار.

تأتي المجاعات والأوبئة، الآلام والمعاناة، لتعاقب، لتصحح مسيرة الناس في حياتهم ولتضبط سلوكهم. ولكن هل رجع الناس عن شرورهم وآثامهم. قريباً

(١) إن ما يراه عزرا هنا سيحل بدولة إسرائيل كما بشّر بذلك القرآن الكريم في سورة الإسراء: وإن إفساد اليهود في الأرض لن يترك بلا عقاب.

سينسون العقوبات التي حلّت بهم، وقريباً يـأتي اليـوم الـذي يرخـص فيـه الطعـام. سيظهر للناس أن وقـت السـلام قـد حـان، وأن الوفـرة والرفـاه سيدومان. ولكـن الكوارث سوف تقفز فجأة في كـل مكـان، الحـروب ــ المجاعـات ــ اضطـراب وفوضى عظيمان. سيهلك أكثر الناس. ومن ينجو منهم من المجاعة فسوف يقتـل في الحرب. أما المحاصيل فسوف تقتلع وتُرمى كالفجل بـلا قيمـة أو أهميـة. لـن يوجد من يعزّي أو يزيل هموم الأحياء، لأن الأرض سـوف تدمّـر والمـدن سـوف تخرب. لن يُترك أحدٌ لفلاحة الأرض وزراعتها. ستحمل الأشجار الفواكه والثمـار ولكن لن يكون هناك من يلتقطها. سـتنبت المحـاصيل وينضـج العنـب ولكـن لـن يكون هناك من يصنع الخمر منها.

سيصبح المكان قفراً مهجوراً ولن يلاقي إنسان إنساناً آخر. أو يسمع صوته إلا كل مدة طويلة.

عشرة أشخاص فقط سوف يُتركون في المدينة. وفـي القريـة لـن يكـون هنـاك أكثر من شخصين اختبأا في الغابة أو الكهف. تماماً مثلما يترك زيتونتان أو ثـلاث على الشجرة بعد قطافها. أو مثلما يبقى عنقـود أو عنقـودان منسـيان علـى شـجرة الكرمة بعد قطافها، رغم حرص القاطف على أن لايترك شـيئا منسـياً. كذلـك فـي تلك الأيام لن يبقى أحد. ثلاثة أشخاص أو أربعة سينساهم الجنود الغازون، الذيـن يفتشون كل المنازل ليقتلوا من يجدوه. ستُترك البلاد خاوية على عروشها. سوف تنمو الأشواك في الحقول. ستغطي الأعشاب المعيقة للسير الطرقـات والممـرات، لأنه لاتوجد حيوانات أو ماشية ترعى تلك الأعشاب.

الفتيات الشابات يندبـن حظهـن العـاثر ويبكيـن مستقبلهن إذ لايوجـد شـباب يتزوجون منهن. الزوجات في حزن دائم علـى أزواجهـن الذيـن فقدنهـم. البنيـات الصغيرات يصبحن يتيمات لا أحد يعطـف عليهـن أو يسـاعدهن. سـيقتل الشـباب والرجال في الحرب، وأما الشيوخ فيسموتون من الجوع.

٨ ـ ١٣. رسالة إلى الشعب.

والآن فليستمع إلى هذا النداء كل الأشخاص الذين يخافون اللّه ويعبدونه، فإنها رسالة موجهة إليهم. فليستلموها وليؤمنوا بما جاء فيها.

إن الكوارث تقترب بسرعة وإنها لن تتأخر. قد تعاني المرأة في الشهر التاسع من حملها، وقد تعاني من الآلام ساعة المخاض. ولكن حين تحين ساعة الولادة فلن يكون هناك أي تأخير. وإن العالم سوف يئن ويتأوه عندما تأتيه آلام المخاض.

استمعوا إلى رسالتي يا أبناء أمتي.

كونوا مستعدين لخوض المعركة. عندما يحين الوقت وتتوارد عليكم النكبات عليكم أن تعيشوا كأشخاص بيوتهم في غير هذا العالم. على التجار أن لايهتموا بمقدار الربح من تجارتهم، عليهم أن يفكروا بمهرب ينجي حياتهم. وعلى زبائنهم المتسوقين من تجارتهم أن يتوقعوا أن تسلب منهم مشترياتهم، وعلى الذين يبنون بيوتهم ومنازلهم أن لايأملوا بسكناها، وعلى المزارعين أن لايتوقعوا حصاد غلاتهم، وعلى المتزوجين أن لا يتوقوا إلى إنجاب الأطفال والذرية، وعلى الشباب العزاب أن يعيشوا كأنهم أرامل فقدوا زوجاتهم، لأن كل شيء يفعله الناس ذلك الوقت سيكون عديم النفع والفائدة. الغرباء المهاجمون سيحصدون الزرع. سيسلبون الثروة والممتلكات. سيهدمون البيوت. سيستعبدون الأولاد ويحملونهم معهم أرقّاء. ومن ينجو منهم فسوف يموت جوعاً. ستسلب الأموال عنوة وقهراً وعيون أصحابها تنظر ولكن لا تستطيع شيئاً.

أغنى الناس وأكثرهم جمعاً للمال، أكثرهم إنفاقاً وإسرافاً، أكثرهم أثاثاً وريشاً، أكثرهم اعتناء بالمظهر الخارجي لمنزله وأبهته وأناقته الشخصية سيكون الأكثر تعرضاً لغضب اللّه وسخطه، وذلك بسبب شروره وآثامه وخطاياه التي ارتكبها.

٩ ـ ١٣. انتصار رجال اللّه الصالحين.

وكما أن المرأة الشريفة الطاهرة تحتقر المرأة الوضيعة العاهرة، كذلك فإن رجال اللّه الأتقياء الصالحين يحتقرون الخطاة والمذنبين مهما كان المظهر الخارجي للأشرار أنيقاً وجذاباً. سيتصدى المؤمنون للشر الذي ملأ العالم. سيشجبون الخطيئة ويدينونها. سيواجهون حماة الرذيلة المدافعين عنها وجهاً لوجه. لذلك لاتتبعوا خطوات الأشرار ولاتفعلوا كفعلهم فقريباً جداً سيكنسون كالزبالة من العالم، وسيخضع العالم لسلطة الأتقياء والصالحين(١).

لا يخفى على اللّه شيء وأولئك الآثمون الذين يدّعون بالقول الصلاح والتقوى سيخجلون من أعمالهم وأقوالهم، لأن اللّه يعلم سرّهم وعلانيتهم، ومطّلع على داخليتهم ويعرف خططهم ومشاريعهم.

يا شعبي العزيز: إن اللّه خالق كل شيء ويعرف كل شيء. خلق الأرض بكلمة كن فكانت. خلق السماء ورتب فيها أماكن النجوم التي لايعرف عددها إلا هو. إنه يعرف كم هي أبعاد المحيطات وماذا يوجد فيها من أحياء وكنوز مخبوءة. جعل للبحر حدوداً لايتعداها وأظهر اليابسة، ومدّ السماء وثبتها فوق البر والبحر. جعل في الصحراء ينابيع وواحات وأنشأ البحيرات في أعلى الجبال وأجرى منها الجداول والأنهار تسقي الحقول والوديان.

خلق الإنسان وأعطاه قلباً وعقلاً وأعطاه الحياة والفهم والاستنتاج الذي هو سرّ اللّه في خلقه. إن خالق كل شيء عالم بسرّ كل شيء لا تخفى عليه خافية في الأرض أو في السماء.

---

(١) تلك هي أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم التي حكمت العالم بالعدل والرحمة وقضت على الرذيلة ونشرت الفضيلة والمساواة بين الناس.

١٠ ـ ١٣. الملائكة هم الشهود والله هو الحاكم.

يا شعبي العزيز: إن الله مطلع على سركم ونجواكم. والأشرار المذنبون الذين يريدون أن يستروا ذنوبهم وآثامهم قد أدينوا. إن الله يفحص كل عمل فعلتموه بدقة وعناية، وسيجلبكم إلى يوم المحاكمة. في ذلك اليوم سوف تكونون في قلق واضطراب إنه يوم الفزع الأكبر، يوم تعرض أعمالكم ونواياكم مكشوفة أمام جميع الناس، يوم تشهد ضدكم الأعمال الخاطئة التي قمتم بها. كيف ستخفون آثامكم والله هو حاكمكم والملائكة شهود عليكم؟ لذلك اتقوا الله واخشوه وخافوا منه. اهجروا ذنوبكم وابتعدوا عنها، اطرحوا الشرّ جانباً فإن فعلتم ذلك فإن الله ينجيكم من تلك المغمات.

إن عصابة كبيرة من الأشرار تستعد الآن للانقضاض عليكم وافتراسكم. سوف يغوون قسماً منكم ويجبرونكم على أكل لحم الخنزير المقدم قرباناً لآلهتهم. لاتستسلموا لهم سيسخرون منكم. سيضللونكم. سيخيبون أملكم ويخزونكم ويذلونكم. سيكون هناك اضطهاد كبير ضد أولئك الذين يخافون الله. سيتصرف المهاجمون بعنف ووحشية. سوف ينهبون ويدمرون دون رحمة أو شفقة كل أولئك الذين لازالوا يخافون الله.

سوف يخرجونكم من بيوتكم ويأخذون جميع ممتلكاتكم[1]. هذه المحنة هي اختبار لشعبي الذي سيبرهن على أن رجاله أتقياء صالحين مثل الذهب الخالص الصافي.

(١) كما يفعل اليهود الآن بسكان فلسطين أصحاب الحق الشرعيين.



يا شعبي العزيز: استمعوا إلى ما سيقوله الله لكم. إن وقت المحن آت وقريب ولكني سوف أنجيكم. لاتخافوا وثقوا بي. أنا إلهكم وسوف أقودكم إلى النصر إذا حفظتم شريعتي وتعاليمي[1].

الرب يقول: لاتدعوا ذنوبكم وآثامكم تثقلكم أو تتحكم بكم. أما أولئك الذين كبلتهم آثامهم وسحقهم الشرّ فقد أدنتهم، وسيكونون مثل حقل مملوء بالشوك والحسك ولايستطيع أحد اجتيازه أو المرور فيه، أو الاستفادة منه إلا بإحراقه كاملاً. وهذا ماسأفعله بالمذنبين:[2]

هدم ـ حرق ـ تخريب ـ اقتلاع.

---

(١) وإذا حفظ المسلمون شرع الله فإنه سيقودهم إلى النصر القريب.

(٢) وهذه هي النتيجة الحتمية لدولة إسرائيل التي تعبث في الأرض فساداً وإفساداً دون رادع. وسيدخل المسلمون المسجد كما دخلوه أول مرة ـ سورة الإسراء ـ.

الفصل الرابع عشر

شهادة المسيح عليه السلام

١ ـ ١٤. شهادة عزرا.

إن ما يميز المسيّا المنتظر عند عزرا ثلاثة صفات رئيسة:

١ ـ أنه صاحب شريعة جديدة تنسخ الشريعة الموسوية التي أرهقت كاهل اليهود.

٢ ـ ينتصر على أعدائه عُبّاد الأوثان ويبيدهم.

٣ ـ ينشئ دولة الإيمان التي تحكم بالعدل الذي افتقده الناس لمدة طويلة.

لم يكن عزرا أول من بشّر بالمخلص المنتظر وإنما سبقه النبي أشعيا[1] الذي أعطى معلومات أوسع يمكننا من خلالها التعرف على هذا الإنسان العظيم الذي سينقذ الإنسانية والذي تنتظره الأمم والشعوب كافة. فهو:

١ ـ عبدالله ورسوله. يبسط الله عليه الحماية ويحفظه حتى يبلغ رسالة ربه.

---

(١) الفصل الثاني والأربعون من نبوءة أشعيا.

٢ ـ صاحب شريعة جديدة تنتظرها الأمم والشعوب.

٣ ـ هو من سكان الصخرة المنحوتة ومن أبناء قيدار من نسل إسماعيل عليه السلام.

٤ ـ يحطم الأصنام ويخزي عبّادها ويذلّهم.

٥ ـ يسهل اللّه الأمور أمام أمته فيؤسسون دولة الإيمان وينشرون العدل والرحمة المنتظرين في كل أنحاء العالم.

٢ ـ ١٤. إنجازات المسيح.

جاء المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه الذي بشّرت به الكتب آخر أنبياء بني إسرائيل مؤيدا بالمعجزات وبالروح القدس ليدعو بني إسرائيل للإيمان الحقيقي، وللعودة إلى روح الشريعة الموسوية ولكنهم رفضوه.

كان المسيح محباً للفقراء والمساكين، متواضعاً ليناً يخدم أصحابه بدل أن يخدموه، يرشدهم إلى الحق ملمحاً بمثل بسيط. كان يجعل من نفسه قدوة صالحة لهم، يستمع إلى الأرملة ويعطف على اليتيم ويشفي المريض. أحبه الشعب وأبغضه رجال الدين. ابتعد عنه الأغنياء وتخوّف منه الحكام. لم يكن المسيح مديد القامة مفتول العضلات. ولم يكن صاحب سيف أو رمح. كان معتدل القامة رقيقاً وديعاً ولم يكن جباراً شقياً. كان المسيح إنساناً بما تحويه هذه الكلمة من المعاني السامية والمشاعر الرقيقة الطيبة. كان مرهف الحس لطيفاً، كثير الصوم والصلاة والبكاء من خشية اللّه تعالى.

كان اليهود ينتظرون ملكاً غنياً، مارداً جباراً عتياً يسوقهم بالعصا ويُخضع لهم الشعوب والقبائل، ويوزع عليهم السلب والنهب ويقطعهم العالم. كانوا يريدون إنساناً يستلم زمام الحكم في الدولة ليستطيع أن يشرع لهم القوانين الجديدة التي وعدهم بها موسى وأشعيا وعزرا بدلاً من الشريعة القديمة التي أرهقتهم وأذلت رقابهم، ولكن المسيح لم يشرع جديداً لأنه كان فرداً من الشعب ولا سلطة له

على أحد، وصرح مراراً بأنه على ناموس موسى. وهذا طبيعي لأن صاحب التشريع يجب أن يكون صاحب سلطة أو مؤيداً من صاحب سلطة وهذا ما لم يتيسر للمسيح.

أنكر اليهود المسيح لأنهم لم يرغبوا بإنسان يعلمهم الحب والإنسانية ويرشدهم الطريق إلى معرفة الله تعالى وكسب مرضاته بالعبادة والعمل الصالح. كانوا يريدون جزاراً لا يعرف الرحمة ولا يحب الشفقة ولايريد المساواة مع الشعوب الأخرى.

٣ ـ ١٤. إنذار المسيح.

قام المسيح بالمعجزات الباهرة وأتى بالبيانات الظاهرة فآمن به الشعب على خوف من رجال الدين المنافقين للسلطة الحاكمة، الذين تحزّبوا ضده صفاً واحداً واتهموه بالسحر والشعوذة، فأرسل إليهم المسيح إنذاراً وتهديده لهم بأن كشف لهم ما سيؤول إليه أمرهم إن استمروا في وضع العصي بين عجلات دعوته فقال لهم:

اسمعوا مثلاً آخر[١] غرس رب بيت كرماً، فسيجه وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وأجره بعض الكرامين ثم سافر. فلمّا حان وقت الثمر. أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذوا ثمره فأمسك الكرامون عبيده فضربوا أحدهم وقتلوا الآخر ورجموا الثالث. فأرسل عبيداً سواهم أكثر من الأولين عدداً، ففعلوا بهم الفعل نفسه. فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال: سيهابون ابني. فلما رأى الكرامون الابن قال بعضهم لبعض: هو ذا الوارث، هلُمّ نقتله ونأخذ ميراثه، فأمسكوه وألقوا به خارج الكرم وقتلوه. فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته؟ قالوا له: يهلك القوم الأشرار شرّ هلاك ويؤجر الكرم كرامين آخرين يؤدّون إليه الثمر في وقته. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب أن الحجر الذي رذله البناؤون هو الذي صار رأس الزاوية؟ ذاك صنع ربنا كان عجيباً لأبصارنا لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع عنكم ليسلم إلى أمة تجعله يخرج ثمره.

---

(١) إنجيل متى الفصل الواحد والعشرين الفقرة ٣٣.

فلما سمع الأحبار والفريسيون هذين المثلين أدركوا أنه يعرض بهم في كلامه فحاولوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبياً.

٤ ـ ١٤. منهاج المسيح.

نظم المسيح الدعوة للإيمان بالله تعالى بشكل لم يسبق له مثيل، فقسم تلاميذه كل اثنين معاً يدخلان القرى والمدن يبشران فيها ويعرفان بالمسيح ورسالته. كان التلاميذ مسلحين بالقدرة التي أولاهم إياها المسيح فشفوا الأمراض وطردوا الشياطين، فذاع اسمه وتشوق الناس لمعرفته والتتلمذ على يديه، وسن لتلاميذه منهاجاً متقشفاً صارماً لايحيدون عنه، وأمرهم بالابتعاد عن الوثنيين والسامريين وعدم دعوتهم أو تبشيرهم قائلاً لتلاميذه: لم أرسل سوى إلى خراف إسرائيل الضالة[1]. وعندما جاءته امرأة سورية تطلب منه شفاء ابنتها أصمّ أذنه عن سماع ندائها وتوسلها وقال لها: لايحسن إعطاء خبز البنين للكلاب[2]. لم يكن المسيح عنصرياً وإنما كان مرسلاً في مهمة محددة. وحلّ تلاميذ المسيح محلّ الكهنة ورجال الدين التقليديين، وانصرف الناس عن الكهنة إليهم فكانوا يُعمِّدون الناس ويطهرونهم من الذنوب بإرشادهم إلى التوبة الصادقة والعودة إلى التمسك بناموس موسى[3] والعمل بشريعته التي جاء بها.

واستعر الحقد في صدور رجال الدين وخاصة الصدوقيين منهم، فمعجزات المسيح ـ شفاء المرضى ـ إخراج الشياطين ــ إحياء الموتى، دحضت مزاعمهم التي تنكر البعث والنشور وأماتت مذهبهم المادي البحت، وأظهرت للناس إمكانية القيامة، وأثبتت وجود الجن والشياطين والملائكة التي أنكر الصدوقيون وجودها. وبدأت المؤامرات السرية تحاك ضد المسيح للتخلص منه ومن أتباعه.

---

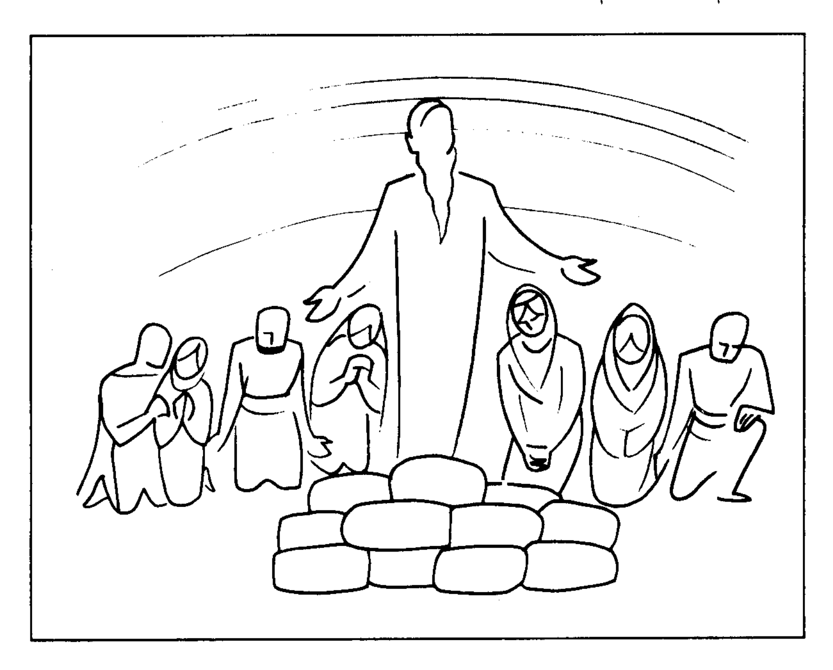
(١) إنجيل متى الفصل الخامس عشر. الفقرة ٢٤.

(٢) إنجيل متى الفصل الخامس عشر. الفقرة ٢٦.

(٣) إنجيل متى الفصل الثامن الفقرة ٤. وإنجيل مرقس الفصل الأول فقرة ٤٤. ولوقا الفصل السادس عشر الفقرة ٢٩. وإنجيل لوقا الفصل الرابع والعشرون الفقرة ٢٧. وإنجيل يوحنا الفصل الأول الفقرة ١٧. وإنجيل يوحنا الفصل الخامس للفقرة ٤٦.

وجد الناس في المسيح روحاً جديدة وأملاً عظيماً وتعليماً قويماً فتعلقت به القلوب والأرواح. وانجذب إليه الجمهور بكليتهم عقلاً ونفساً وروحاً. كان المسيح يخطب على المنبر في الهيكل[1] ولكن كلامه كان لايشبه كلام الخطباء العظماء أو الفصحاء. كان يتحدث إليهم بكلام النبوة الذي يدخل القلب فيحييه ويدخل الفكر فينميه، ويدخل النفس فيزكيها وتمتلئ بالإباء وتعشق المكرمات. ويدخل الروح فتسبح في أعلى عليين.

كان كلام المسيح متدفقاً كالنبع الجاري حلواً كالشهد الصافي. أما رجال الدين فكان كلام المسيح ينزل عليهم كالصواعق المحرقة فيزداد سواد قلوبهم ويكبر حقدهم وحسدهم.

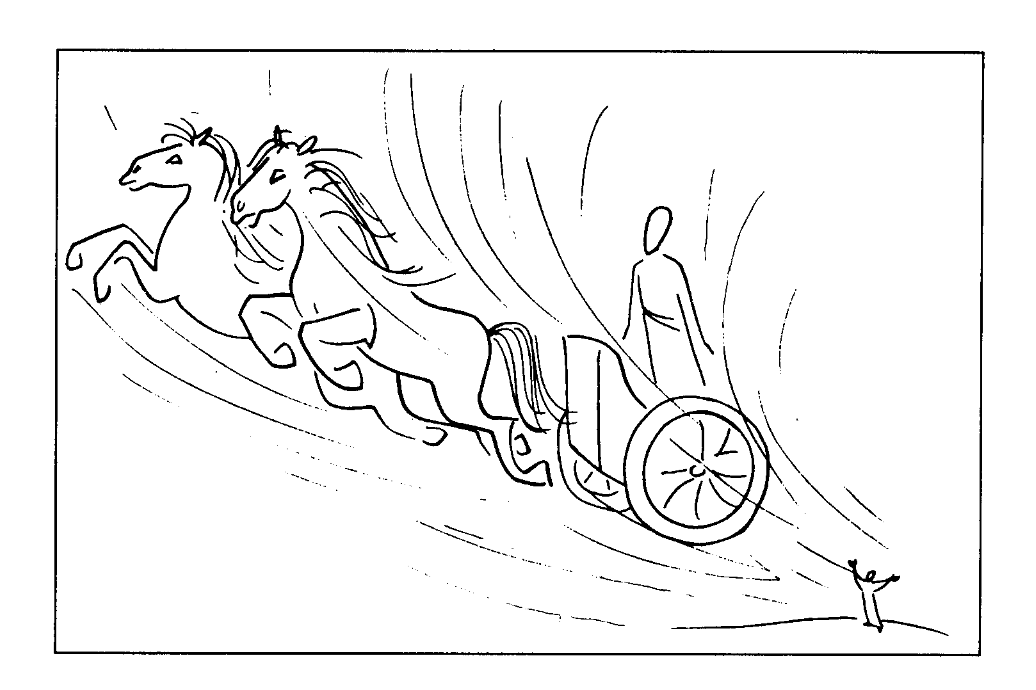


(١) كان المسيح زعيماً لفرقة الفريسيين وكان يخطب في الهيكل لأنه من رجال الكهنوت اليهودي ولايسمح لأي كان بالخطبة على منبر الهيكل. وعندما قبض على بولص في مجمع الكهنة صاح بأعلى صوته: أنا فريسي بن فريسي أقر بأني أعبد إله آبائي على السنة التي يزعمون أنها بدعة (أي أنه من أتباع الناصري) وأومن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الأنبياء راجياً من اللّه ما يرجون من قيامة الأموات الأبرار والفجار. (أعمال الرسل).

وعندما رفض المسيح أن يكون ملكاً أو قائد ثورة، شعر رجال الدين أن المستعمر الروماني سوف يبقى وأن مصالحهم ستبقى مرتبطة بولائهم للرومان، وأن المسيح ليس أكثر من نبي عادي لايطمح إلى أكثر من أن يكون رئيس الأحبار وعظيمهم، وهويدعو إلى الحب والسلام، إلى الاستقامة والتقشف.

٥ ـ ١٤. تصريحات المسيح.

اقتنع بنو إسرائيل بنبوة المسيح وآمنوا به جميعاً بعد أن أحيا لهم الموتى، وانتظروا منه أن ينفخ بفمه على الرومان فيبيدهم جميعاً كما فعل ذلك النبي إيليا الذي صعد إلى السماء بمركبة نارية. ولايزال اليهود ينتظرون عودته ليحطم أعداءهم أو يذبحهم كما فعل بأنبياء البعل[1].



(١) قصة إيليا وصعوده إلى السماء مذكورة في سفر الملوك الثالث وسفر الملوك الرابع. أما دعوة إيليا فهي مذكورة في شروحات الكتاب المقدس وأنه سيعود آخر الزمان ليبشر بالمسيح.

ولكن المسيح أفهمهم أنه جاء نذيراً وبشيراً، وقال لهم توبوا فقد اقترب ملكوت السموات[1] . فقال له رئيس الكهنة: علينا أن نعرف من أنت[2] ؟.

أجاب يسوع: أنا عيسى بن مريم بَشَرٌ مائتٌ ويخاف اللّه وأطلب أن لايعطى الإكرام والمجد إلا لله.

قال الكاهن: إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل مسيا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد اللّه، وسيأتي للعالم برحمة اللّه، لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق، هل أنت مسيّا رسول اللّه الذي ننتظره؟.

أجاب يسوع: حقاً إن اللّه وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي.

قال الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس اللّه، لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في اللّه بأية كيفية سيأتي مسيّا.

أجاب يسوع: باللّه الحيّ الذي تقف بحضرته نفسي إني لست مسيّا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد اللّه أبانا إبراهيم قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، ولكن عندما يأخذني اللّه من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عديم التقوى على الاعتقاد بأني اللّه وابن اللّه، فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لايكاد يبقى ثلاثون مؤمناً. حينئذ يرحم اللّه العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، وسينزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة اللّه لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً.

---

(١) يقول المسيح في إنجيل لوقا الفصل الرابع الفقرة ٤٣: يجب عليَّ أن أبشر سائر المدن بملكوت اللّه فإني لهذا أرسلت. وفي إنجيل مرقس الفصيل الأول الفقرة ١٤: جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة اللّه فيقول: حان الوقت واقترب ملكوت اللّه فتوبوا وآمنوا بالبشارة. وجاء في القرآن الكريم سورة الصف: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ وكلمة إنجيل تعني البشارة بمحمد ﷺ.

(٢) إنجيل برنابا الفصل السادس والتسعون والفصل السابع والتسعون.

ومع أني لست مستحقاً أن أحلّ سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من اللّه لأراه.

فرد: حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين: لاتزعج نفسك يا يسوع قدوس اللّه لأن هذه الفتنة لاتحدث في زمننا مرة أخرى لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد اللّه أو ابن اللّه.

فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد اللّه أبانا إبراهيم، وإن ما يعزيني هو أن لانهاية لدينه لأن اللّه سيحفظه صحيحاً.

سأل الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول اللّه؟

فأجاب يسوع: لايأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من اللّه ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة، وهو ما يحزنني، لأن الشيطان سيثيرهم بحكم اللّه العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي.

سأل هيرودتس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم اللّه العادل؟.

أجاب يسوع: من العدل أن من لايؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته، لذلك أقول لكم إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً ويحبّ الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وإرميا، لأن الشبيه يحب شبيهه.

فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مسيّا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه.

أجاب يسوع: إن اسم مسيّا عجيب لأن اللّه نفسه سماه لمّا خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. قال اللّه: اصبر يا محمد، لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك، حتى إنّ من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى إنّ السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لايهن أبداً. إن اسمه المبارك محمد.

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا اللّه أرسل لنا رسولك. يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم.

٦ ـ ١٤. سورية ومصر تحملان رسالة السماء.

سببت تصريحات المسيح انهياراً لآمال اليهود المعقودة على مجيء المسيح، وشعر اليهود بخيبة أمل ويأس شديدين، وباتوا ينتظرون مسيح عزرا أو المسيّا الذي سيثأر من الكفار، والذي سيجيء آخر الزمان ليخلصهم من الذل ويسوّدهم على العالم.

أما تلاميذ المسيح اللاصقين به فقد فهموا أن الوعود والآمال ستتحقق على يد البارقليط[١]. وكانت دعوتهم مركزة في مصر وبلاد الشام. لذلك نرى والفضل يعود لتعاليم عزرا وبشارة المسيح، أن هذين القطرين دخلا الإِسلام بثبات وقوة، وانطلقت من سورية ومصر جيوش المسلمين تنشر العدل والحرية، وتحرر العقول والأفكار، وتؤسس مجتمع المحبة والرخاء في العالم أجمع.

إن لليهود فضلاً كبيراً في انتشار الإِسلام فيهود الشتات الذين حزن عليهم عزرا انتشروا في كل بلاد العالم يهددون أهالي البلاد وينذرونهم كلما شعروا بالمضايقة والاضطهاد بمجيء رسول اللّه الذي سيخلص اليهود ويخزي أعداءهم.

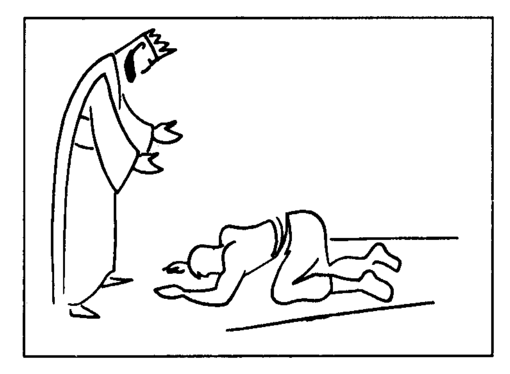
وسار يوحنا الرائي[٢] على منوال معلمه وأستاذه المسيح عليه السلام فقام يبشر بمجيء الصادق الأمين الذي منعه من السجود لبشر، وأعلمه أنه لايجوز السجود لغير اللّه تعالى. ووصفه يوحنا بأنه يحارب ويقضي بالعدل وتتبعه جيوش المؤمنين وهم لابسون ثياباً بيضاء نقية، ويخرج من فمه سيف صارم ذو حدين ليضرب به الأمم والشعوب وهو سيرعاهم بعصا من حديد. ويدوس أعداء اللّه الذين سخط عليهم كما يدوس الكرّام العنب في المعصرة.

---

(١) وإِذا كنتم تحبوني حفظتم وصايا وأنا اسأل أبي فيهب لكم بارقليط يبقى معكم إلى الأبد. إِنجيل يوحنا الفصل الرابع عشر الفقرة ١٦، وكلمة بار تعني ابن وقليط تعني هاجر.

(٢) هو يوحنا الشيخ ويقال هو يوحنا حواري المسيح كُتبت رؤيا القدس يوحنا في العام ١٠٠ ميلادية. والنص مأخوذ من الفصل التاسع عشر.

واليوم فإن العالم المسيحي الذي لم يؤمن برسالة محمد ﷺ ينتظر عودة المسيح ومعه جيشه السماوي ليدين الأحياء والأموات، ويحقق دولة الإيمان التي تحكم بالشريعة الجديدة التي سوف يأتي بها.



يا ترى هل تتحقق آمال المسيحيين؟.

واليهود ما زالوا ينتظرون عودة إيليا الذي صعد إلى السماء لكي يقضي على أعدائهم ومضطهديهم بنفخة واحدة. لقد رفضوا اتّباعَ محمد ﷺ رغم اعترافهم بنبوته لأنه عربي وليس من بني إسرائيل. وهم ينتظرون مسيحاً يملكهم العالم ويخضعه لهم.

يا ترى هل تتحقق أحلام اليهود؟.

أم أن كل إنسان عاش على هذه الأرض يموت ويغادرها إلى غير رجعة؟؟؟.



محتويات الكتاب

رقم الصفحة



هذا الكتاب هو أحد الكتب المنسوبة إلى عزرا. والنسخة الأصلية وترجمتها اليونانية مفقودتان. ولا يوجد الآن في المتاحف والكنائس سوى الترجمة اللاتينية المأخوذة عن نسخة يونانية.

يتضمن الكتاب سبع رؤى لعزرا ويشرح مغزاها بنفسه. كما يجاوب على لسان الملاك أوريل عن عديد من الاسئلة التي تخطر على بال كل إنسان وهي تتعلق بالقدر. وفي نهاية الكتاب ملحق يتضمن نبوءات لكاتب مجهول يختلف أسلوبه عن الاسلوب الذي كتبت به الرؤى. تكتسب هذه النبؤات أهمية جزئية لأنها تتحدث عن طوفان عربي مسلح يكتسح العالم ويهزه بعنف.